محاضرات الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

المحاضرة 1

1. المفاهيم والمصطلحات:

الحديث عن الأنثروبولوجيا يبدأ من كم التعاريف التي تناولت هذا الحقل الهام، حيث يشار أن اصطلاح الأنثروبولوجيا يعني حرفيا علم الإنسان "Anthropologie" وهي عبارة عن كلمة مركبة من مقطعين من اللغة اليونانية وهما: Anthopos وهي الإنسان و Logy تعني علم، وبهذا تكون الأنثروبولوجيا علم الإنسان أو المعرفة المنظمة عن الإنسان، وهي معرفة تهتم بجميع مناشط حياة الإنسان اجتماعيا وثقافيا وحضاريا وفيزيقيا أو طبيعيا... نظرة توسم بأنها ذات منحى شمولي أو كليّ أو تكاملي، تعتمد على مناهج متطورة حاليا محورها الأساسي هو الإنسان بما أنتجه ماديا ومعنويا وما يعيشه آنيا ومستقبليا.

والمنظور الشمولي الكلي يتميز بكونه يهدف إلى تحديد جميع عناصر الثقافة في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، أي يبحث عن كل عنصر مادي ومعنوي في المجتمع المدروس، وذلك طبعا يتم عبر ملاحظة طريقة العيش في مختلف دقائقها من مسكن وملبس ومأكل ومشرب والأدوات المستخدمة في مختلف الأمور ويلاحظ النظام العائلي السائد والروابط القرابية والعادات والمعتقدات والتقاليد والنظام الاقتصادي والسياسي والديني واللغة المستعملة والطقوس والسحر، ووسائل الضبط الاجتماعي والفلكلور وطرق الاتصال والتواصل ... الخ.

وكذلك من أجل الإلمام بثقافة المجتمع المدروس وبخصائص الأفراد الذين ينتمون إليه وأسلوبهم في الحياة وهناك دلائل وشواهد عديدة على هذا الشمول: فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها من ناحية على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان كعضو في المجتمع من ناحية أخرى.

ويبدو أن هنالك تضارب حول ما تتناوله الأنثروبولوجيا حسب المقطع الأخير من التعريف أعلاه وهنا سنطرح تعاريف أخرى تزيح هذا الإشكال ومنها أن هذا العلم حسب القاموس الفرنسي سنة 1832 «علم أو وصف الإنسان» فأي وصف يمكن أن نستخلصه من هنا؟

والإجابة على هذا السؤال تعطي للأنثروبولوجيا تداخل مع العلوم الأخرى التي تدرس الإنسان بجوانب مختلفة أو تتداخل مع هذه العلوم عند تناول الإنسان أي بطريقة فيها تكامل سيكولوجيا وبيولوجيا وفيزيولوجيا واجتماعيا وثقافيا.

وهناك تعاريف اخرى تعطي اجابة مخالفة عندما تصف هذا العلم بكونه علم مستقل بمقاربة خاصة عن المقاربات الأخرى في العلوم الإنسانية أي علم مستقل بذاته، وهذا فعلا ما تم تحقيقه مع تطور البحوث والدراسات في الأنثروبولوجيا حيث صارت كعلم أكثر تحديدا وتخصصا بظهور التخصصات والفروع ومنها علم الآثار، اللغويات، الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية والطبيعية، وبهذا يتضح من المعنى اللفظي لاصطلاح الأنثروبولوجيا أن موضوع هذا العلم هو الإنسان وبالتالي فالإنسان هو الإطار الوحيد الذي يحدد الموضوعات التي يدرسها هذا العلم

وأنه لحري بنا كحوصلة تعريفية لهذا العلم أن نطلع على ما كتبته مارغريت ميد (M.Mead) سنة (1901–1979) في حق هذا العلم بقولها: «نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة. كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية ونعني أيضاً ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة، فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظريات التطور، أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر، إن التخصصات الأنثروبولوجي التي قد تتضارب مع بعضها في ذاتها مبعث الحركة والتطور في هذا العلم الجديد، وهي التي تثير الانتباه وتعمل على الإبداع والتجديد، هذا ويجدر الإشارة أن جزءا لا بأس به من عمل الأنثروبولوجيين يوجه نحو القضايا العلمية في مجالات الصحة والإدارة والتنمية الاقتصادية ومجالات الحياة الأخرى ونرجع عبر هذا التعريف إلى تأكيد حقيقة هذا العلم الذي يدرس الإنسان وكل ما ينتجه بشكل شامل ماديا ومعنويا وتدرسه في أقدم أشكال حياته عبر ما خلفه وتدرسه في واقعه المعاصر في أعقد أمور حياته أو الإنسان في بدائيته وتحضره أو شكله المعاصر.

ومع تراكم المعرفة الأنثروبولوجية وتعدد الدراسات والأبحاث في مجال الأنثروبولوجيا، أثري هذا الحقل بفروع علمية كل يهتم بميدان معين ومنها الثقافي والاجتماعي والفيزيقي والطبيعي والسياسي الاقتصادي والقانوني، فكانت هذه الفروع المشخص الحقيقي لموضوعات الأنثروبولوجيا كما سنرى لاحقا.

المـــحاضـــرة 2

2. مصطلحات متقاطعة ومرافقة للانثروبولوجيا:

نقف هنا عند بعض المصطلحات والمعارف والمفاهيم التي تتقاطع أو ترافق الانثروبولوجيا حيث قد لا نجد في الكثير من الاحيان فواصل بينها وبين علم الانسان كالاثنوغرافيا والاثنولوجيا والسوسيولوجيا والاركيولوجيا ،والانثروبولوجيا ترتكز عليها بشكل كبير او انها علوم مساعدة له لانطلاقته المعرفية كعلم مستقل ومنها تحديدا:

1. الاثنولوجياEthnologie

هي الدراسة المقارنة للثقافات أو للشعوب تمثل السلالة وحدة الدراسة الاساسية فيهاوتشمل كل من الثقافة والجغرافيا والتاريخAnathomique والاثنولوجيا تختص اكثر بدراسة الخاصيات التشريحية والايحائية Biologique للانسان المصنف ضمن السلسلة الحيوانية.

كما تعني الاثنولوجيا دراسة الافعال والوثائق المجمعة من لدن الاثنوغرافي (التي تغطي ميدان الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية) وتتوزع إلى حقول شتى كالاثنوغرافيا الموسيقية اللسانية...وتحليلنفسيةكما يمكن حصر مجال اهتمامها في الدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوغرافية بهدف الوصول الى تصورات نظرية أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية والانسانية من حيث تصور أصولها وتطورها وتنوعها.

وتدرس الاثنولوجيا خصائص الشعوب اللغوية ،والثقافية والسلالية وتفسر توزعها الجغرافي نتيجة للهجرات واتصال الشعوب بعضها ببعض ،وكذلك تدرس الحياة أو الجوانب المادية من الحضارة ، وأشكال الحياة الاقتصادية وتنظيم المجتمع وشكل الاسرة والتنظيم العشائري والقبلي ونظام الحكم والنظم القانونية والعقائد الدينية والفنون وغير ذلك من النشاط والسلوك الحضاري، وهذه المواضيع في الحقيقة تدخل في اطار فرع الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.

لقد ساهمت الاثنولوجيا عبر هذه الأبحاث والدراسات في التعرف على مختلف المجتمعات والجماعات والانماط الحضارية والثقافية المنتشرة عبر العالم ذات الطابع البدائي القديم والمعاصر، والمجتمعات الحديثة الريفية والمدنية فمثلا هناك اختلاف كبير في نمط الغذاء من مجتمع لآخر ،فما نأكله نحن لا يستسيغه الآخر ،فهناك من يأكل النيئ وهناك المطبوخ ،وأكل بعض الحيوانات قد يحرّمه البعض كأكل الصينيين للحشرات الذي نراه نحن أمرا غير مقبول أو مستحيل ،وكذلك طرق اللّباس بين الستر والعري أو لبس ألوان معيّنة في مناسبات معينة ...الخ.

وفي بحوث الاثنولوجيا عن الثقافة والحضارة يتم الاهتمام بالموجود منها وقت الدراسة والبحث والذي انقرض وصار من الماضي يتم عبر شواهد حيّة أو شهادات مدونة عنها ،أو سجلات ووثائق مكتوبة ،وفي الوقت الحال صارت الاثنولوجيا تهتم بدور الفرد في المجتمع وارتباط نمو الشخصية بالتراث الثقافي للوصول إلى تعميمات وإجابات عن مدى دور الفرد في بعض العمليات الثقافية كالاختراع والاكتشاف ونشر السمات الثقافية وانتشارها ،ووسائل تشكل الشخصية الفردية وأنوا السلوك الذي تحبذه الثقافة والسلوك الذي تلفظه.

وأخيرا نطرح سؤالا وجيها حول علاقة الانثروبولوجيا بالاثنولوجيا والاجابة هنا تقودنا إلى استعمال فرع الانثروبولوجيا الثقافية حسب الباحثين الامريكيين ، بينما الفرنسيون فيصطلحون عليه بالاثنولوجيا أحيانا أو الأثنوغرافيا أحيانا أخرى في دراساتهم السوسيولوجية، ويعاكسهم

وأخيرا نطرح سؤالا وجيها حول علاقة الانثروبولوجيا بالاثنولوجيا والاجابة هنا تقودنا إلى استعمال فرع الانثروبولوجيا الثقافية حسب الباحثين الامريكيين ، بينما الفرنسيون فيصطلحون عليه بالاثنولوجيا أحيانا أو الأثنوغرافيا أحيانا أخرى في دراساتهم السوسيولوجية ،ويعاكسهم البريطانيون بالإشارة إلى فرع الانثروبولوجيا الاجتماعية. ويشار الى ان الاثنولوجيا هي الأمس والانثروبولوجيا هي اليوم .وللاثنولوجيا مجالات مختلفة ومنها :

1. اثنولوجيا التاريخ (تبحث في تاريخ المجتمعات القديمة كالازتك والانكا)
2. اثنولوجيا الفلاحة أو الزراعة (تبحث في التجمعات الفلاحية والزراعية)
3. اثنولوجيا المدينة (تبحث في التجمعات الضيّقة في المدن كبني ميزاب في غرداية أو القبائل في تيزي وزو أو الطوارق في تمنراست ...الخ)

2/الاثنوغرافيا:Ethnographie

بتفكيك هذا المفهوم يظهر أنه كذلك مكوّن من مقطعين جنس Ethno وgraphie التي تعني الكتابة أي بالجمع الكتابة عن الاجناس وهو يدل على ذلك العلم الذي يهتم أولا بترتيب الشعوب حسب لغاتها وفي جانب آخر يقوم بتلك الدراسات الوصفية لمختلف الجماعات الانسانية الاثنيات لخصائصها الانثروبولوجيا والاجتماعية وذلك دون تحليل وتفسير لها ،أي تقتصر على عملية وصف الشعوب أو الثقافات أو المجتمعات دون تعليق وتحليل ،فالاثنوغرافيا هي علم وصفي صرف اذ يقوم بتصوير ثقافة أحد الشعوب ووصفها وبيان ما يسودها من نظم وعادات ،دون الدخول في

تحليل هذه المعلومات ،وايجاد الصلة بين بعضها البعض وهي كذلك الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموع التقاليد ،والعادات والقيم ،والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة ،خلال فترة زمنية محددة

ومن هنا يتأكد أن هذا العلم هو الجانب الميداني أو التطبيقي للانثروبولوجيا ،بينما الاثنولوجيا هي الجانب التأملي الشكلي والتركيبي الذي يوظف الاثنوغرافيا للوصول إلى حقائق ونتائج نظرية عن المجتمعات أو الثقافات أو الاثنيات والاعراق والاجناس المدروسة وبهذا فإن هذان العلمان يكملان بعضهما .

والأهم ان الانثروبولوجيا والاثنولوجيا والاثنوغرافيا لا تشكل علوما ثلاث مفترقة بل ثلاث مراحل متتابعة ،وبشكل أدق ثلاثة تصورات مختلفة لبحث واحد ...[و] هدف الانثروبولوجيا سواءا في الحاضر أو في الماضي هو الدراسة الاثنولوجية ...حتى تساعدنا على فهم الناس في أوضاعهم الحالية والكيفية التي انتهت بهم إلى هذا الوضع.

3/حضور السوسيولوجيا في الانثروبولوجيا:

حاول بعض العلماء إقامة فروقات بين الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا ومنهم فريزر (1908) بتأكيده أن علم الاجتماع علم يدرس المجتمعات الانسانية والانثروبولوجيا في فرعها الموسوم بالانثروبولوجيا الاجتماعية تدرس الاشكال الأولية البسيطة والبدائية للمجتمعات الانسانية ،إلا أن المقارنة بينهما تكشف نوع من التشارك والتعاون والتداخل في مجالات الدراسة وعلى سبيل المثال

فقد تناول ماكس فيبر دراسة العلاقة بين النظام الديني وبين النظام الاقتصادي الرأسمالي ،واستخدم المادة

التاريخية التي قدّمها علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية وعلماء التّاريخ على السواء

وتنبري العلاقة التشاركية كذلك خاصة مع اسهامات علماء الاجتماع الذين قدّموا الكثير للانثروبولوجيا وتحديدا في التحليل الوظيفي ومنها أعمال دوركايم (في تقسيم العمل الاجتماعي ،قواعد المنهج في علم الاجتماع ،والاشكال الاولية للحياة الدينية ،الانتحار.

والظاهر أن غالبية السوسيولوجيين هم كذلك انثروبولوجيين ،كما لا يخفى ان التداخل بينهما يظهر واضح من خلال المجالات والموضوعت الدراسية كالثقافة ،والحضارة ،القرابة ،النسب ،الزواج ،النظم ،الأنساق ...الخ ،لكن يظهر الاختلاف في طريقة التناول والمعالجة.

فمثلا تتناول الانثروبولوجيا موضوع الثقافة من حيث نشأتها وعكسها لنمط التفكير لدى جيل معيّن من البشر. وهذا يعني تناول الثقافة في سياقها التاريخي ،على عكس معالجة علم الاجتماع لموضوع الثقافة فهو يدرسها كأداة تكيف الانسان مع المحيط الاجتماعي ،ووظيفة لإشباع الحاجات الانسانية المختلفة.

المحـاضــرة 3

3. فروع الأنثروبولوجيا:

تنوعت وتعددت فروع الأنثروبولوجيا ما جعلها تأخذ مسميات متشعبة تشعب حياة الإنسان المعاصر رغم أنه كان هناك تقييم تقليدي موجز معمول به قسمها إلى الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية أو البيولوجية والانثروبولوجية الثقافية والاجتماعية ،الا أن ما طغى لاحقا على هذا الحقل هو كم التفرعات التي أغنته وأضافت إليها الكثير عبر الدراسات والأبحاث في الأنثروبولوجيا التي اتصلت بعلوم أخرى وتشابكت معها ونهلت من تراثها المعرفي ،ونمت بتطور بحوثها النظرية والحقلية ومن هذه الفروع التي كثر تداولها نذكر:

1.2- الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية أو البيولوجية:

يتناول هذا الفرع الجانب الفيزيائي أو الجسدي للإنسان أو كما يسمى قياسة أناسية أو علم أقيسة الجسم البشري ،خاصة في تحقيق شخصية المجرمين[1] ،وذلك بتتبع بدايات نشأته وتفاعله مع البيئة وتطوراته مع الزمن أو ظهوره على الأرض كسلالة متميزة واكتسابه صفات معينة كسيره منتصبا على القدمين وقدرته على استعمال اليدين ،وقدرته على التخاطب والتواصل والكلام والرموز التي يستخدمها وقياس أجزائه الجسدية أو دراسة الأحجام الخاصة بجمجمته ودماغه ولون عينيه وشعره وبشرته وطوله وشكل أنفه وفمه ،وغيره من المظاهر الجسدية التي تناولتها الأنثروبولوجيا الطبيعية.

ومن خلال هذه الأعمال الميدانية الخاصة بمجال الحفريات والآثار تم التوصل إلى بعض الصفات والخصائص المتعلقة بالإنسان القديم، ومنها يمكننا الإشارة لوجود الإنسان في جزيرة جاوة والذي سمي بانسان جاوة من مخلفاته الجسدية وإنسان الصين القريب بنية من إنسان جاوة وهو أكبر منه قليلا ،وإنسان بلتداون في انجلترا الذي يختلف عن سابقيه وإنسان هيديل بيرج الذي وجد في ألمانيا، والذي له الخاصية المتشابهة للحيوانات العليا كالقرد، ثم إنسان نياندرتال في ألمانيا وهي لإنسان عاش في العصر الجليدي، ثم "إنسان جريمالدي جنوب فرنسا وإيطاليا ويشبه في خصائصه الزنوج، وإنسان كهف كرومونيون والذي عثر على عظامه مع بعض الأدوات والرسوم وأهم صفة ميزته كبر دماغه وطول القامة وعرض الوجه،

ثم إنسان روديسيا الذي ينتمي لسالفه (نياندرتال) مع مقارنة الاختلافات والتشابهات بين هذه الشعوب. ونجدها كذلك توصلت باعتمادها علم الأنثروبيومتري أو قياس الخصائص الفيزيقية للسلالات البشرية إلى مجموعة من السلالات البشرية التي استوطنت الأرض ومنها السلالة المغولية (الصفراء) الموجودة في قارة آسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية، والسلالة الزنجية (السوداء) الموجودة في إفريقيا وأستراليا والجزر المحيطة بها، والسلالة النوردية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وغيره، والسلالة القوقازية (البيضاء) الموجودة في أستراليا والهند وقد اعتمد هذا العلم الأنثروبومترية للتمييز بين هذه الشعوب في مقاييس معينة وهي:

أ- **طول القامة:** وهي أشد المقاييس وضوحا حيث يقرر بعض العلماء أن أصحاب القامة القصيرة ينتشرون في الغابات الكثيفة والمناطق شديدة البرودة والمناطق المجدبة.

ب- **شكل الرأس والجمجمة:** حيث يوجد لها جهاز خاص يقيس طولها وعرضها وكثافتها.

ت- **الدليل الأنفي:** ويقصد بذلك طول الأنف وعرضه حيث لوحظ أن الأجناس الزنجية تمتاز بالأنف الأفطس العريض، وهو ما يختلف عن القوقازي الذي يمتاز أفراده بالأنف الدقيق أو المدبب.

ث- **بروز الفك الأسفل:** ولهذه الصفة أهمية لدى العلماء في تحديد مدى بدائية السلالة البشرية أو اقترابها من الكائنات الحية الراقية، فقد تبين أن الخاصة المميزة للأجناس الزنجية هي بروز الفك بصورة واضحة، أما القوقازية فهي تمتاز بعدم بروز الفك.

ج- **سعة الجمجمة ووزن المخ:** تختلف معدلات سعة الجمجمة ووزن المخ من سلالة لأخرى ومن شعب لآخر ،بالإضافة الى تناول العمليات الفعلية التي احدثتها التغيرات البيولوجية في الانسان وتكيف الانسان مع البيئة وتأثره بها أو قدرته على التأقلم والتكيف كالقدرة على العيش في البيئات الباردة والحارة(الصحراء) ،والوراثة البشرية والميكانيزمات الوراثية والتكيف البيولوجي .

وأحدث الدراسات ما تعلق بدراسة بعض المؤثرات البيولوجية كدراسة الهيموغلوبين وعلم الوراثة والتكيف البيولوجي ، الذي يؤدي إلى تغير الخصائص الوراثية وعلم الوراثة والدراسات الايكولوجية واثر العوامل الوراثية على العوامل الثقافية والاجتماعية والعلاقة بين شكل الجسم والمهنة ...والطب الشرعي واستخدامه للكشف عن الجرائم ،ومن هنا ظهرت فروع تخص هذا الفرع ذاته كعلم العظام وعلم الاسنان والايكولوجيا البشرية وعلم الأجنة والنمو والبيولوجيا الجزئية وعلم الوراثة البيوكيميائية ،والتطورات البشرية

والرئيسيات والانثروبولوجيا التطبيقية والوراثة السكانية وانثروبولوجيا الطب الشرعي والانتخاب الطبيعي...الخ.

ويلاحظ من خلال ما تناولناه أن الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية قد اعتمدت علوما معينة في دراستها للإنسان ومنها علم التشريح والفيزيولوجيا وعلم وظائف الأعضاء والبيولوجيا أو علم الحياة والمورفولوجيا أو علم البناء الإنساني وعلم العظام Ostéologie وعلم الجراحة الإنساني وفرع الأجناس البشرية Stomatologie وغيره من العلوم والفروع المعرفية المساعدة.

والمعروف أنّ تاريخ الأنثروبولوجيا الطبيعية أو البيولوجية مستمد من أعمال عدد من علماء البيولوجيا وأهمهم شارل داروين (C.Darwin) أصل الأنواع وبول بروك (P.Broca) وفرانسيس جالتون (F.Galton) وشهدت سنة 1830 بداية انطلاقة هذا العلم أو تقدمه كعلم معروف بالاعتماد على علوم معينة خاصة علم التشريح وعلم قياس جسم الإنسان أي الأنثروبيومتري ،والتوجه نحو دراسة التطور الجسمي للإنسان دراسة الحفريات والمستحثات الأثرية الخاصة بالهياكل والبقايا العظمية للبشر، ونتج عن هذا الاهتمام فروع دراسية تعلقت الأولى بدراسة الإنسان كنتاج للتطور والثانية بدراسة الجماعات البشرية.

وهذين الفرعين على ما يبدوا يدرسان الإنسان قديما ببحث أثاره ومخلفاته وبقاياه زمنيا ومقارنتها بمكتشفات أخرى في أماكن أخرى وبحث عملية تطوره إلى يومنا هذا ،ومن خلال المقارنة يتمكن الباحث في الأنثروبولوجيا الطبيعية من تعقب سمة بنائية معينة أو مجموعة كاملة من السمات منذ أقدم الجماعات البشرية حتى أحدثها، وهنا يستطيع عالم الأنثروبولوجيا الطبيعية الإجابة على التساؤلات التالية: متى وأين ظهرت أقدم الكائنات البشرية لأول مرة؟ وكيف كانت هيئة هذه الكائنات البشرية؟ وكيف تتشابه أو تختلف بعضها عن بعض؟ وكيف تغيرت السمات الفيزيقية للإنسان خلال الفترة التي عاشها على الأرض؟

وفي الماضي كان تركيز الأنثروبولوجيا الفيزيقية ينحصر في الملاحظات المورفولوجية والقياسية الموحدة عن الهياكل العظمية، وكذلك عن الشعوب المعاصرة وأقارب الإنسان الأقربين من العالم الحيواني. كما كانت الأنثروبولوجيا الفيزيقية تقوم في تلك المرحلة على استخدام بعض التحليلات الإحصائية البسيطة نسبيا، وكانت قامات الأفراد، وأحجام الجمجمة والأبعاد الجسمية المختلفة تقاس وتصنف الشعوب طبقا لبعض المعايير الواضحة استنادا إلى المتوسطات التي كانت تحجب مدى التنوع

القائم. أما المعلومات الإضافية اللازمة فكانت مقصورة علي الدراسة التشريحية والفيزيولوجية المقارنة وعلى دراية محدودة بعلم الحفريات البشرية وتصور مبسط لنظريه ماندل في الوراثة

ومن الدراسات التي جاءت في هذا المجال تلك الأعمال التي قدمها (Johan Friendrich Blumenbach) الذي ركز في دراساته على شكل الجمجمة ولون الجلد والشعر وتكوين الجسم وأعمال جريور ماندل (Mandel) التي ركزت على التنوع في الكائنات الحيوانية والنباتية... ويلاحظ أن أغلب المنظرين لهذا الفرع هم من الأطباء وعلماء الحياة.

ومن موضوعاتها الأساسية دراسة العمليات الفعلية التي أحدثت التغير البيولوجي في الإنسان و أهم موضوعات هذا الفرع وهي التي تهتم بدراسة نمو الإنسان وتطوره منذ المرحلة الجنينية حتى بلوغه وهرمه ،وتأثير العوامل البيئية والطبيعية المحيطة به على هذه التطورات التي يمر بها الإنسان، بالإضافة إلى الاهتمام بالعامل الوراثي وأساليب تعديل صفات الإنسان الوراثية وتكيفه مع الظروف والتغيرات المختلفة ويقصد بها الظروف البيئية والطبيعية المؤثرة على الفرد ذاته أو على نوع أو جنس بشري كاملا.

وعموما فان اهتمامات هذا الفرع تتلخص فيما يلي:

1- محاولة الكشف عن الإنسان المبكر مقارنه بالإنسان المعاصر.
2- دراسة التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة الطبيعية ومكونات عناصر البيئة سواء على الأرض والماء والهواء والكائنات الحية.
3- الكشف عن التنوع السلالي والإنساني حيث يمكن فهم مشكلة التكيف البشري.

2.2- الأنثروبولوجيا الطبية أو الصحية:

تعد الأنثروبولوجيا الطبية أو الأنثروبولوجيا الصحية -كما يسميها بعض الدارسين- من الفروع المستقلة بذاتها والمتطورة في الأنثروبولوجيا العامة، وقد ظهر هذا الفرع بداية القرن العشرين، وتزايد الاهتمام به نظرا لتزايد الوعي بدور الثقافة في القضايا الصحية، مثلا تطور المرض، وتوزيعه الجغرافي والوسائل والأساليب التي تعتمد عليها المجتمعات في مواجهته، والطرق المثلى لتحسين الطب الحديث وتطويره في المجتمعات التقليدية.

وتمثل الثقافة دورا مهما فيما يتعلق بالتعامل مع المرض والصحة وطرق العلاج والرعاية الصحية كما أوضح ذلك لويس مورغان ،وذلك أن الثقافة في أي مجتمع تتحكم بشكل كبير في نمط انتشار

المرض ومسبباته بين الناس وكيفية تفسير المرض وطرق معالجته ،وكذلك مختلف السلوكيات التي يستجيب بها الناس لانتشار الطب بشكله الحديث والتفاعل معه والأخذ به وإدراك الأمراض وتشخيصها ومتابعاتها والسعي للعلاج بطرق مختلفة ومنتشرة في المجتمعات الإنسانية .

وخاصة منها العلاج بالطب الحديث أو البديل أو بالطرق الشعبية. ويلاحظ أن الثقافة ككل مركب تؤثر في أساليب الرعاية الصحية المتبعة، فمثلا قد تفشل برامج المساعدات الطبية بسبب الفروقات بين من يقدم العلاج ومن يتلقاه. وهذه المشكلة يمكنها أن تخلق عقبات دون حدوث مال يعرف بالاتصال الفعال والتعليم والعلاج والتطبيب.

ومن هنا يمكننا تأكيد فعالية الثقافة ودورها المهم في مجال الصحة والتعامل مع المرض وذلك من خلال المظاهر المتعلقة بالتغذية السليمة، ومتابعة الأمراض المعدية ونشر الثقافة الصحية وطرق العلاج المتماشية طبعا مع السياق الاجتماعي للمجتمع محل الاهتمام «وكذلك تدرس الطب المسمى بالطبيعي الذي يمارس عند بعض القبائل والمجتمعات. هذا بالإضافة إلى تركيز الاهتمام حول الدور الصالح وغالبا ما يكون الشمان (Shaman) عند بعض القبائل أو ساحر أو الراقي في مجتمعات وقبائل أخرى».

وفي نفس السياق فإن الأنثروبولوجيا الطبية تعمد إلى الاهتمام بالجانب الثقافي للعملية التطبيقية ودور الشخص الذي يقوم بتقديم الخدمة الطبية بالعقاقير والأعشاب الطبية والقراءات التي يقولها المعالج للمريض، نظرة أفراد المجتمع لكل من المريض والذي يمارس مهنة التطبيب والعلاج والمرض بشكل عام.

ولتفكيك واقع المجتمعات المعاصرة من الناحية الصحية تم توظيف المناهج الأنثروبولوجية لفهم وتقييم الموضوعات الصحية ومشكلاتها ،ومنها تحديدا برامج التغذية الصحية والثقافة الصحية وصحة الأم والطفل وتنظيم الأسرة والعقم والطب الحديث والخصوبة وتشوه الأجنة وسبل تجنب الأمراض المعدية والخدمات الصحية، والصحة والمرض وطرق العلاج والعلاقة بين المعالج أو الطبيب والمريض، ويلاحظ أن مختلف هذه الموضوعات ماهي إلا انعكاس لواقع المجتمع وثقافته السائدة .

ومن هنا يمكن القول أن هوية الأنثروبولوجيا الثقافية تتحدد من خلال مختلف الموضوعات المشار إليها خاصة كيفية إدراك الناس لعالمهم فيما يتعلق بالصحة وحدوث المرض وخصائص الأنساق والقيم الاجتماعية وبهذا المنظور فليست الأنثروبولوجيا الطبية مجرد طريقة للنظر والتأمل في حالات الصحة

والمرض في المجتمع، ولكنها طريقة للنظر والتأمل في المجتمع ذاته. ولتحديد منظور هذا الفرع سنشير للمجال الأساسي الذي يدرسه ومنه وتحديدا:

1- الإيكولوجيا وعلم الأوبئة.
2- الطب الشعبي.
3- المظاهر الطبيعية للأنساق الاجتماعية.
4- الطب والتغير الثقافي.

3.2- الأنثروبولوجيا النفسية:

يهتم هذا الفرع من الأنثروبولوجيا في كيفية تأثير الثقافة في الشخصية أو بالأحرى فهم الشخصية من خلال الثقافة التي تنتمي إليها، من حيث بنائها وسماتها وسلوكيات أفرادها.

لقد ظهر مصطلح الثقافة والشخصية كتزاوج بين علم النفس وعلم الإنسان وعلى أساس ذلك وجد فرع الأنثروبولوجيا النفسية كتوجه حديث يبحث في ثقافة المجتمع كعامل مهم في تحديد سمات الشخصية السوية والغير السوية، عبر البحث في التفاعل الذي يتم بين الفرد ومجتمعه سواء بقبول وتمثل الثقافة أو عدم تقبلها ورفضها أو التمرد عليها، ويتم هذا التفاعل بثلاثة أشكال، الشكل الأول يسمى بالأشكال الثقافية والمقبولة للشخصية حسب النمط السائد في الثقافة، والشكل الثاني هو الشخصية النموذجية المتلائمة اجتماعيا حسب ما تحبذه الجماعة والشكل الثالث يتعلق بطريقة الإسقاط المطبقة في علم النفس (رورشاخ) لتحديد نطاق بنيان وسمات الشخصية من فرد لآخر في المجتمع، والتي تبدو مختلفة حسب الوسط الذي ينتمي له الأفراد.

ويلاحظ أن جمع الثقافة بالشخصية يسير في اتجاهين، الأول يأخذ بتأثير الثقافة في الشخصية أي التأثير في جوهر الإنسان، والثاني بتأثير الشخصية في الثقافة كون أن الشخصية لها دور في العمل بما تمليه الثقافة وإعادة ما تتلقاه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية كذلك التعرف على ما تفكر فيه وما تمتلكه وما تصنعه للشخصية كرد فعل على ذلك.

إن الشخصية تنمو وتتطور في إطار أو قالب ثقافي تنشأ وتتفاعل معه وتكتسب منه مختلف الأنماط الفكرية والسلوكية والعقلية التي تساهم في تكاملها وتكيفها مع البيئة الاجتماعية، فمحتوى أي شخصية الثقافة مسؤولة عليه بنسبة كبيرة من خلال ما تستدمجه الشخصية تربويا وعلميا وتثقيفيا ونفسيا

وهكذا يمكن القول أنه لا يمكن أن نفهم الشخصية دون الرجوع للثقافة التي تنتمي إليها. فما نراه نحن سلوكا سليما، يراه آخرون سلوكا غير سوي، وهذا طبعا خاضع للثقافة التي تنتمي إليها الشخصية وتشاركها وتعكس أنماطها وسماتها وبنائها العام.

وتبدو تأثيرات الثقافة في شخصية الأفراد في النواحي التالية:

أ- الناحية الجسمية:

حيث الثقافة السائدة بخصائصها المعروفة تأثر على الأفراد بما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وممارسات في طريقة التعامل مع الجسد، فقد تنفعه ببعض الممارسات أو قد تضره، فمثلا عند بعض القبائل الإفريقية أو الأسترالية يتم غرز أجسادهم (الأذن، الأنف...) وتعد ممارسات مقبولة بالنسبة لهم يعمل بها أبناء القبيلة دون رفض، وهناك عادات أخرى كضغط القدم للأنثى في الصين القديمة رغم ضررها وتسببها في تشوهات على مستوى القدم إلا أنها تعد من القيم الجمالية التي تفضل الأنثى بقدم صغيرة ،وكذلك بعض الممارسات المتعلقة بالوشم وارتداء بعض الأزياء والالبسة والإكسسوار والحلاقة ،وبعض الممارسات المتعلقة بالسحر والطب والاحتفالات التي تتعلق بزينة الجسد (القناع...)، والعقائد المتعلقة بكل ذلك كطهارة الجسد أو نجاسته.

ب- الناحية العقلية:

للثقافة تأثير قوي على الناحية العقلية لأفراد المجتمع بما تلقنه لهم من معتقدات وأفكار خاصة التي تتعلق بالجانب الديني والعرفي والجانب السحري والغرائبي، فلكل مجتمع عقائده ومعتقداته وأعرافه التي ينقلها لأفراده فينشؤون على نهجها، من حيث نظرتهم للكون وظواهره، ونظرتهم للآخر والمقدّس والمدنّس ومختلف العبادات التي يمارسونها ،وعلى الأفراد هاهنا مساندتها وإلا اعتبروا متمردين أو خارجين عن نطاق الثقافة التي ينتمون لها.

ج- الناحية الانفعالية:

ويتضمن هذا الجانب الاستعدادات والدوافع الغريزية الثابتة نسبيا لدى الافراد والتي تتصل بفيزيولوجيتهم وتكوينهم الانفعالي الذي يلقن لهم منذ الصغر، وذلك بضبطه أو تهذيبه وتربيته أو تكييفه، فمثلا مثيرات الغضب أو البكاء أو الفرح موجودة لدى الإنسان بالفطرة، وعن طريق التربية والتوجيه يعدل المزاج المتعلق بذلك، بالتحكم فيه.

د- الناحية الخلقية:

لكل ثقافة نسقها الأخلاقي الذي تستند عليه وتلقنه لأفرادها من ناحية الخير والشر، الحلال والحرام، الصواب والخطأ...، وتختلف هذه القيم من مجتمع لآخر ومن زمان لآخر وتعد النواحي العقلية والانفعالية والبيئية والاجتماعية المواد الخام التي تبنى عليها الناحية الخلقية وتأخذ منهم تكوينها عبر تفاعلهم مع البعض، إلا أن العامل البيئي له الدور الأكبر في تكوين الناحية الخلقية كون الفرد يتفاعل مع الآخرين ويتعامل معهم ويؤثر فيهم ويأخذ منهم مختلف القيم والمعايير الأخلاقية ويعدلها أو يكيفها حسب ما هو سائد في المجتمع، فاحترام كبار السن في المجتمعات العربية والإسلامية مثلا مستمد من الأعراف الاجتماعية التي كانت سائدة ولا زالت كذلك مستمد من الدين وهي القيم المحبذة قديما إلى يومنا هذا مع بعض التغير الاجتماعي والثقافي الذي ساهم في قصور النظرة لفئة المسنين كتوجيه بعض الأبناء آبائهم لدور الشيخوخة أو عدم الأخذ بنصائحهم وآرائهم وظهور مفهوم صراع الأجيال وغيره ،ونفس القيمة في مجتمعات أخرى لا تحترم كبار السن بتاتا وتعتبرهم عالة كما في الإسكيمو أو المجتمع الأمريكي نتيجة للظروف الاقتصادية والبيئية.

وعند تناول الأنثروبولوجيا النفسية ينبغي الإشارة لأبحاث عدد من الأنثروبولوجيين ممن تناول الثقافة والشخصية ومنها أعمال: إدوارد سابير (Edward Sapir) ... مقالة بعنوان ظهور مفهوم الشخصية في دراسة الثقافات الذي نشره في مجلة علم النفس الاجتماعي عام 1934، وكذلك أعمال سيليجمان (Seligman) في إنجلترا... مقالة حول الثقافة والشخصية...، يضاف إلى ذلك أعمال كل من كلاكهون (Klakhohn) وموارر (Mourer) اللذان درسا العلاقة بين الثقافة والشخصية، وتأثير بعضهما في البعض من ناحية البنية البيولوجية والسلالية والرموز والطقوس والاعتقادات والأخلاق والإدراكات ،وغير ذلك من جوانب الحياة الثقافية للمجتمعات البشرية، وفي سياق دراستهما لهذه العلاقة طرحا أربعة محددات أساسية للشخصية وهي:

1- الجبلية.
2- وضعية الجماعة.
3- الدور.
4- المركز الاجتماعي.

كما يمكننا الإشارة لبعض من الدراسات الهامة في هذا المجال وهي خمس دراسات أساسية في الأنثروبولوجيا الثقافية ترجع إلى:

1- دراسة هونيجمان على قبائل كاسكا.
2- دراسة مارغريت ميد في مجتمع مانوس.
3- دراسة رالف لينتون على سكان جزر الماركيز.
4- دراسة إبراهام كاردينز على الشخصية الأساسية.
5- دراسة روث بنديكت.

ويلاحظ أن هذه الدراسات كشفت عن مدى تأثير الثقافة على بناء شخصية أفراد المجتمع، فالفرد ما هو إلا نتاج الثقافة التي ينتمي إليها، حيث أن ما يكتسبه الأفراد من سلوكيات وتصرفات وسمات عبر عملية التنشئة الاجتماعية والتثاقف يرجع للثقافة ولا دخل للوراثة فيه.

لقد قدمت الأنثروبولوجيا خدمة كبيرة لعلم النفس بحيث أنها تصدت لعدة موضوعات ودراسات وفرضيات جاء بها علم النفس وقد يبدو التعاون بينهما أو وجه اللقاء في كونهما يدرسان سلوك الإنسان ،إلا أن طريقة البحث والسياق تختلف من علم لآخر، «إن الأنثروبولوجيا تدرس السلوك في سياقه التاريخي، وكيف أثرت عليه عوامل مختلفة في جذوره الماضية، وما مدى استمرار مثل هذه التأثيرات في حاضر المجتمعات الإنسانية، كتأثير الثقافة، والنبات، والجيولوجيا على تشكل أنماط السلوك لدى الجماعات البشرية العابرة. في حين نجد أن علم النفس أيضا يدرس السلوك لكن في سياقه الحاضر أو الجاري: وبالتالي يعتمد على الملاحظة والمسح الاجتماعي والتجريب والمنهج الوصفي في تحليل السلوك الإنساني»

وتوثقت العلاقة بين علم النفس والأنثروبولوجيا حينما بدأ الأنثروبولوجيون يوجهون اهتماماتهم للعلاقة التي تجمع الثقافة بالفرد أو الثقافة والشخصية«وأخذ الأنثروبولوجيين يوجهون اهتمامهم إلى المتخصصين في التحليل النفسي... والطب النفسي... ويستمدون منهم مفاهيمهم النفسية...».

كما نجد الأنثروبولوجيا قد صححت لعلم النفس الكثير من المفاهيم النفسية ومراجعة بعض النظريات كنظرية الغرائز المبالغة التي هدمت، كذلك دحض عقدة أوديب وإبطال المزاعم الخاصة بمرحلة المراهقة في المجتمعات المعاصرة التي نشأت عن قيود تفرضها هذه المجتمعات، بالإضافة إلى إبطال

المزاعم النفسية التي تدّعي أن الحرب من الغرائز الفطرية وكل هذه التصحيحات جاءت بعد دراسات ميدانية قام بها علماء الأنثروبولوجيا.

4.2- الأنثروبولوجيا الاقتصادية:

يعمد علم الاقتصاد إلى دراسة النظام الاقتصادي بمواضيعه المختلفة، والمتمثلة أساسا في النظم الاقتصادية الفرعية ومنها الإنتاج، الاستهلاك والتوزيع والتبادل وغيره، ومن هنا يتم تركيز علم الاقتصاد على اعتبار المشكلات الاقتصادية جزء لا يتجزأ من نسق فكري وسلوكي معزول.

بينما الأنثروبولوجيا وتحديدا في فرعه الأنثروبولوجيا الاجتماعية تعتبر النظام الاقتصادي بما يحتويه جزء من النسق الاجتماعي العام لأي مجتمع من المجتمعات، كما تتناول علاقته بالنظم الأخرى وعليه نجد علم الاقتصاد يعد من فرع من الفروع في الأنثروبولوجيا يسمى الأنثروبولوجية الاقتصادية، ويذكر أنه لم يتم الاهتمام به إلا منذ مدة في الربع الثاني من القرن العشرين نتيجة للتغيرات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات ومنها الاهتمام بموضوعات الاقتصاد والتنمية والصناعة وطرق النهوض بالمجتمعات الإنسانية وطرق تطورها...الخ.

لقد اهتمت الأنثروبولوجيا الاقتصادية بالنظم الاقتصادية السائدة في مختلف المجتمعات خاصة منها ذات المظاهر التقليدية أو القروية أو القبلية أو الزراعية، وذلك ببحث مختلف الجوانب المتعلقة بطرق الإنتاج والتبادل... بمعنى أنها تحلل الأشكال المميزة للإنتاج والتبادلات في المجتمع.

ويعود الفضل في ظهور هذا الفرع لكل من جراس في مقال له بعنوان «الأنثروبولوجيا الاقتصادية» حيث بيّن عبره حدود هذا الفرع ومهامه بالإضافة إلى موريس جودولي وغيرهم. ويمكننا الإشارة إلى الموضوعات التي اهتمت بها الأنثروبولوجيا الاقتصادية ولا زالت كالهبة، الإنتاج، التوزيع، المقايضة ،الثروة، التبادل، المنافسة، التنمية، التقدم، الخدمات، الاستهلاك...، وهذا المجال يظهر ما قدمه علم الاقتصاد للأنثروبولوجيا وكذا ما قدمته الأنثروبولوجيا لهذا العلم، «ذلك أن علماء الاقتصاد بدأوا يعتمدون

على دراسات الأنثروبولوجيين الاجتماعيين حول النظم الاجتماعية والقيم والمعتقدات والأفكار...، ويستمدّون منها الأساس الفكري في تفسير مشكلات النمو الاقتصادي ومشروعات التنمية المختلفة وفشل الخطط والبرامج الموجهة للنهوض بمجتمعات إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

لقد أفادت دراسات النظم الاجتماعية –وما يرتبط بها من علاقات وأدوار ومراكز –علماء الاقتصاد في فهم الأبعاد المؤثرة في النواحي الاقتصادية في المجتمعات التي يدرسونها، ويقدمون لهاو برامج مشروعات التنمية الاقتصادية...».

كما ساهم التعاون بينهما في فهم الواقع الاجتماعي والاقتصادي والقيام بعملية تفسيره وإيجاد الحلول له،وما تتناوله الأنثروبولوجيا الاقتصادية في النهاية هو مسائل الطبيعة الإنسانية والرفاهكما ويلقي نظرة أوسع على مستوى المعيشة... تتناول طيفا أعرض من الحاجات والدوافع الإنسانية.

5.2– الأنثروبولوجيا السياسية:

إن العلاقة التي جمعت هذان العلمان ليست ببعيدة بل جاءت نتيجة للتغيرات الأخيرة التي عرفتها الإنسانية وكان تناول المواضيع السياسية أو النظام السياسي كجزء من البناء الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات وبعد الاهتمام بالنظام السياسي من قبل الأنثروبولوجيا تدعمت العلاقة بين العلمان.

كما أن هذان العلمان يستفيدان من بعضهما البعض بشكل كبير ،حيث كانت الأنثروبولوجيا تعتمد على علم السياسة وتستفيد مما تقدمه خاصة الناحية المفاهيمية والنظريات والقضايا السياسية، أما السياسة فكانت تعتمد على الأنثروبولوجيا من ناحية الحصول على مختلف المعلومات التي تقدمها الأنثروبولوجيا خاصة في البدايات الأولى لها واهتمامها بالمجتمعات البسيطة ونظم الحكم السائدة آنذاك ،ومختلف القيم والمعتقدات والتصورات السائدة كذلك وكذا نوعية النسق السياسي والعلاقة بين النظام البيئي والنظام السياسي ،وقد تفرع عن هذه العلاقة فرع يسمى الأنثروبولوجيا السياسية التي تعد من أهم فروع الأنثروبولوجيا، والتي ذاع صيتها خلال القرن التاسع عشر على يد عدد من المفكرين وأعمالهم، كمونتسكيو (روح القوانين) وهنري ماين، وبيير كلاستر، وإيفانز بريتشارد، وجورج بالانديه، وميير فورتس، وماكس غولكمان في كتابهما النظم السياسية الإفريقية.

ومن اهتمامات الأنثروبولوجيا السياسية، النظم السياسية والأحزاب السياسية والصراعات والحروب والظروف والأوضاع السياسية وطرق ممارسة السلطة والقوة والنفوذ، وتطور الحكم، وأنظمة أو آليات

توزيع السلطة، ودراسة الخطابات السياسية وأثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في تشكيل السلطة السياسية، وعلى العموم فهي «تدرس علاقات السلطة، أشكال المراقبة الاجتماعية وبدايات تكون النظام (الحكومة–Etat) خصوصا داخل المجتمعات ما قبل الصناعية»أو التقليدية.

لقد تطور هذا الفرع ليصبح علما قائما بذاته وأسس من أجل النظر للإنسان ككائن سياسي في مختلف المجتمعات المتطورة والتقليدية...، وتناول مختلف الموضوعات التي لها علاقة بهذا الفرع الحساس، حيث تهتم بـ«دراسة السلطة، القوة، القيادة، الإدارة لشؤون الأفراد، الحكم، المناصب... أثر التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في أنماط السلطة السياسية وتطور أنظمة الحكم في المجتمع الإنساني...» بالإضافة إلى الاهتمام بموضوع الكاريزما، الطبقة، النزاع، العصبية، الوساطة، التشريع ،الفعل السياسي، الدور السياسي، النقود، الحكم...الخ.

6.2- الأنثروبولوجيا القانونية:

يهتم هذا الفرع بالقانون وتطوراته وتاريخه وتطبيقاته في المجتمعات الإنسانية ومضامينه ومصادره (الدين، الأخلاق، القيم، العادات...) وأنواعه أو جذوره الاجتماعية بأنواعها المختلفة (الميتافيزيقية الإلهية، الوضعية) وأنساقه في المجتمع التقليدي والمعاصر، كما ويعالج أثر القوانين والتشريعات على المجتمع وبناءه الاجتماعي، وعوامل قوته وفاعليته والأسس التي يستند عليها وآثاره على المجتمع وبناءه الاجتماعي.

إن القانون هو أساس تنظيم المجتمع والهيمنة على حركته وتوجيه مسيرته نحو ما يريده القانون ويرتضيه طالما أن القانون الذي يضع القواعد السلوكية والتفاعلية التي يعتمدها البشر في حياتهم اليومية والتفصيلية ويوجه الطريقة التي تسير في ظلها الحياة الاجتماعية بجوانبها الموضوعية والذاتية وقد اعتمد في ذلك على علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية حول موضوع القانون والضبط الاجتماعي ووسائله الرسمية والغير الرسمية، والقانون والمجتمع وكذلك النظم القانونية، ومع التطورات التي شهدتها البشرية بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية صار لهذا الفرع أهمية ودور كبير في تناول موضوعات أهم كالأمن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وأسس الدفاع المدني ونظم القضاء باختلافاتها وعلاقة القانون بالمتغيرات الاجتماعية وكيفية عمل آليات التحكم الاجتماعي بالمؤسسات والنظم القضائية الحديثة.

لقد استفاد هذا الفرع بما قدمه علماء القانون للأنثروبولوجيا... وخاصة منهم هنري مين (H.Maine) وماكلينان (M.Clennan)، ولويس مورغان (L.Morgan)، ولعل هنري مين أكثر هؤلاء العلماء القدامى اهتماما بالقانون والمسائل الاجتماعية المترتبة على التشريعات القانونية في مختلف الأحوال التاريخية وناقش أثر ظهور ونمو روما كإمبراطورية عسكرية على السلطات القانونية التي كان الأب في العائلة الرومانية يتمتع بها. كذلك أولى "هنري مين" اهتماما خاص بالعلاقة بين سلطة الأب المطلقة ونظام العصبة، وانتقال المجتمعات التقدمية من القانون الذي يركز على المكانة الاجتماعية إلى القانون الذي يقوم على العقد.

بالإضافة إلى فروع أخرى كثيرة استمدت تسميتها من الموضوعات التي تناولتها كـ:

7.2- الأنثروبولوجيا الدينية:

حيث أن الظاهرة الدينية كانت محل اهتمام العديد من العلوم الاجتماعية والإنسانية التي عمدت إلى تنميط أشكالها التي أوضحت أن هناك ثلاث مراحل للثقافة الإنسانية وهي مرحلة السحر ثم الدين فالعلم، وكانت هذه النظرة محل اهتمام الأنثروبولوجيا التي اهتمت بالظاهرة الدينية وأسباب وجودها وتواصلها وما تحمله من معتقدات وأفكار وتداخلها مع الحياة الاجتماعية وسيطرتها على أفراد المجتمع وعلى سلوكياتهم وتصرفاتهم والتنشئة التي يتلقاها الأفراد عن طريق الدين وطريقة ممارستهم له.

8.2- الأنثروبولوجيا اللغوية:

تبحث في ترتيب اللغة وتطورها وعلاقة اللغات بالثقافات الأخرى والتطور اللغوي وتركيب الأصوات وطرق النطق وبنية اللغة والمقارنة بينها وعلاقتها بالحياة والبيئة الاجتماعية والثقافية للناطقين بها ،وكذلك تناول اللهجات واللغات الأم واللغات الحية والميتة والرموز التي تحملها والعلاقة بين اللغة والثقافة في المجتمعات الشفاهية (الأثنو-لغوية).

9.2- الأنثروبولوجيا التربوية:

يعد هذا الفرع من أهم فروع الأنثروبولوجيا ويهتم بطريقة تربية وتنمية قدرات وملكات أفراد المجتمع ودور التربية في المجتمعات المعاصرة خاصة من باب التعليم وأهميته في المجتمع ويركز هنا على دور المدرسة ومحتوى العملية التربوية التعليمية والفروق بين أشكال التعليم (الخاص والعام تحديدا) وغيره.

10.2- الأنثروبولوجيا الجنائية:

أو تسمى علم طبائع المجرم ويعني بـ «دراسة المجرم من حيث صفاته التكوينية، البيولوجية (العضوية) والنفسية وأثر العوامل البيئية المحيطة على تلك الصفات وذلك بقصد تفسير الدوافع والأسباب للأفعال الإجرامية الفردية»، أي يفسر هذه الأسباب والدوافع التي جعلت المجرم يقدم على ممارسة الجرائم وتأثير مختلف العوامل الطبيعية والفيزيولوجية والثقافية والاجتماعية...عليه، ورائد هذا الفرع هو سيراز لومبروزو ومدرسته الأنثروبولوجية التي ساهمت في تطور علم الإجرام الحديث.

11.2- أنثروبولوجيا الفن:

التي تهتم بتحليل موضوعات أو صور متميزة تشبه ما يسمى بالأعمال الفنية في مجتمعاتنا هذه أي المجتمعات التقليدية القديمة كتماثيل الحضارة اليونانية أو رسومات الحضارة المصرية. باختصار إن هذه الأنثروبولوجيا تهتم بموضوعات الفن سواء أكان بحثا أو رسما....

إن الفن كنسق ثقافي لا يخلو منه أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية سواء كانت بدائية أو معاصرة أو أي ثقافة وحضارة في الماضي والحاضر، فهو ظاهرة اجتماعية وثقافية لازمت الإنسان ولازالت مع اختلاف في مظاهره وأنواعه، حيث قدمت الأنثروبولوجيا الفنية تصنيفا للفن على يد شابل وكون عام 1942 قسمت على أساسه الفنون على أساس الزمان والمكان:

أولا- الفن في المكان:

1- تزيين السطح.

2- النحت.

ثانيا- الفن في الزمان:

1- الإيقاع.

2- الموسيقى.

3- الآداب.

ثالثا- الفن في الزمان والمكان معا:

1- الرقص.

2- فن الدراما.

والاهتمام بالفن في هذا الفرع في الحقيقة هو من أجل فهم نمط تفكير منتجيه.

ونذكر كذلك أنثروبولوجيا الجسد، الأنثروبولوجيا الرمزية، أنثروبولوجيا الأدب، الأنثروبولوجيا المعرفية، أنثروبولوجيا التنمية...، ويلاحظ أن مختلف هذه المسميات يرتبط بكل ما له صلة بحياة الإنسان وما أنتجه وأبدعه وخلاصة تداخل مختلف المعارف والعلوم.

المحـــاضـــرة 4

4. مجالات وموضوعات وأهداف الأنثروبولوجيا:

إن دراسات موضوعات الأنثروبولوجيا أخذت منحنيات متعددة تتعلق بمجال الدراسة الذي انطلقت منه، حيث منها متعلق بالجانب الفيزيقي للإنسان يعني دراسة جسم الإنسان ووظائفه وتشريحه ،ومنها ما يتعلق بثقافة الإنسان وتراثه المعرفي، ومنها ما يتناول نظم وأنساق وبناء مظاهر الحياة الاجتماعية لمختلف المجتمعات الإنسانية، إلا أن انطلاقتها الفعلية ركزت في بدايتها الأولى على المجتمعات المتوحشة والبدائية والتقليدية كالهنود الحمر في أمريكا وسكان أستراليا الأصليون وإفريقيا...، المختلفة عن المجتمعات الغربية والمتحضرة وتحديدا المجتمعات الأوروبية، وكان لهذا التوجه غايات محددة استغلت استغلالا استعماريا، استعلائيا خدم الثقافة الغربية في عقدة تفوق الأبيض، ويمكننا أن نختصر هذه الغايات في الرغبة في البحث عن اللغات والعادات والتقاليد الغريبة التي تختلف عن لغات وعادات مجتمعاتهم الأوروبية الحديثة...

وقد استمر ذلك إلى غاية القرن العشرين حيث بدأ الاهتمام يتحول نحو المجتمعات القروية والريفية المعاصرة والمجتمعات الحضرية والمعقدة نتيجة التغير الذي شهدته المجتمعات البسيطة، كدراسة مشكلات التحضر والتصنيع والهجرة والتنمية الاجتماعية ومشكلات أخرى كالتربية والتعليم والصحة والمرض...، ثم مشكلات التحضر والصراع العرقي والثقافي والتثاقف والتوطين والنمو العمراني والإعلام والاتصال والتكنولوجيا...الخ.

وعلى هذا الأساس صار للأنثروبولوجيا مجالات وموضوعات دراسة تشمل كل ما له علاقة بالمجتمع مهما كان نوعه وشكله وبنائه ،وذلك بتطبيق المنهج التكاملي أو الشمولي الذي يهتم بمختلف

العناصر المكونة للمجتمع سواء كانت مادية أو معنوية، ولذلك تحتم على الأنثروبولوجيين ملاحظة كل ما يتعلق بالمجتمعات المدروسة ،حيث يلاحظ مساكنهم وملابسهم وأدواتهم والنظم الاجتماعية كنظام العائلة والنظام السياسي والاقتصادي والتقاليد وصور الفن المنتشرة... ، ويتم ذلك خاصة في المجتمعات الصغيرة الحجم للإلمام بجميع الجوانب الاجتماعية، وبإمكانه التطرق للمجتمعات المعقدة بعد الاستعانة بمعارف وعلوم أخرى ،تعطيه النظرة الكلية الشاملة حولها مع الاعتماد على نوع معين من الدراسات، الأولى هي الدراسة المتزامنة أي دراسة المجتمعات في نقطة معينة من تاريخها، والثانية الدراسة التتبعية أي دراسة المجتمعات عبر التاريخ، للتعرف على كيفية تطورها مقارنة بالمجتمعات الأخرى.

5. أهداف دراسة الأنثروبولوجيا:

بناء على ما تقدم سالفا حول موضوعات ومجالات الأنثروبولوجيا فإنه يمكن الحديث عن الأهداف التي تريد الانثروبولوجيا تحقيقها مثلها مثل العلوم الأخرى ومنها أنها تهدف إلى:

1- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.
2- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سياق التطور الحضاري للإنسان (بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي).
3- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية... وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
4- استنتاج المؤشرات والتوقعات في اتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها وبالتالي إمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة .

المحـاضـــرة 5

5. فرع الأنثروبولوجيا الثقافية:

هي ميدان أو فرع من فروع الأنثروبولوجيا، تركز في دراستها على الثقافات الإنسانية سواء القديمة أو الحديثة، البسيطة أو المعقدة أو الثقافات البدائية والقديمة والثقافات المحلية والريفية والفردية الحديثة أو المدنية المعاصرة، وذلك عبر دراسة خصائص هذه الثقافات ووظائفها وبناؤها ومراحلها ومقوماتها ومختلف العناصر التي تتشكل منها وتأثيرها في المجتمع وتأثرها بما يمر به المجتمع، وكذلك دورها في بناء شخصية الإنسان، أو العلاقة بين الثقافة والشخصية، والأهم من كل هذا أنها تدرس الإنسان باعتباره كائن ثقافي، يعيش في إطار ثقافة معينة، حيث أن هذه الأخيرة هي من صنعه، وهذه الخاصية تميزه عن باقي المخلوقات الأخرى.

وعلى العموم تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية بكونها تهتم بالتراث وبالحياة في إطار المجموعة أو تعني دراسة الإنسان ككائن يعيش في إطار ثقافي والاهتمام بعاداته وتقاليده وأعرافه كمجال أساسي في هذا الفرع وكل ما أنتجه هذا الإنسان أي ثقافته، وإذا قلنا الأنثروبولوجيا الثقافية فالملاحظ أننا سنشير إلى مفهومها المركزي أي الثقافة، هذا المفهوم الذي أخذ حظا كبيرا من الاهتمامات وشكل محورا أساسيا في الأنثروبولوجيا الثقافية بموضوعات تتعلق بالاتصال والتثاقف والتغيير الثقافي والتخلف الثقافي والهوة الثقافية وغيره أي الاهتمام بالثقافة في جانبها المعنوي والمادي.

ويمكننا تناول أهم تعريف في الأنثروبولوجيا الذي وضعه تايلر (Taylor) ولازال إلى يومنا هذا، وقد كان لتايلور الفضل في ظهور ونشأة هذا الفرع وتطوره وقد بين في كتابه (الثقافة البدائية) أن الثقافة

بمعناها الاثنوجرافي الواسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع مهما كان نوع هذا المجتمع.

أما ليزي وايت (Lelsie White) في أن الثقافة تطلق على كل الملامح السلوكية التي تميز الإنسان عن بقية الأنواع الأخرى... من حيث أنه يتميز بالكلام الواضح المفصل(الشفهي) ،والنظم وقوانين الأخلاق وقواعد السلوك (الإتيكيت) والإيديولوجيا واكتساب القدرة على استعمال الآلات والأدوات وما إلى ذلك. ولكن الأهم من هذا كله أن الإنسان ينفرد بالقدرة على استخدام الرموز، وهذه المقدرة تعني أن الإنسان يفرض بطريقة تعسفية بحته معانى معينة على الأشياء والأحداث وعلى الموضوعات، ويعتبر الكلام المفصل هو أهم أشكال أو صور الرمز.

أما تعريف كلاكهون (Clyde Kluckhohn) فيبين أن المقصود بالثقافة هو جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية واللاعقلية وهي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة، ويبدو أن تعريف كلاكهون يحاول أن يفسر السلوك الإنساني وتنوعه، حيث أن لكل مجتمع ثقافة تميزه أو ثقافة مميزة تجعله يختلف عن الآخر.

كما قدم هوبل (Hoeble) تعريفا آخر للثقافة وبين أن السلوك المكتسب هو حجر الأساس في تناولنا هذا المفهوم وعند تحليل الثقافة علينا أن نحذف كل ما هو بيولوجي أو مورث من مفهوم الثقافة.

إنه يلغي عن الثقافة كل ما هو غريزي ومورث بيولوجيا أو فطريا وهذا ما يؤكد أن الثقافة ما هي إلا حصيلة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعي أو أنها حصيلة النشاط البشري وأن وجودها بذلك غير مرتبط بوجود الأفراد من حيث هم أفراد، وحين يتكلم علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع عن ثقافة الشعوب فإنهم يقصدون طرائق المعيشة وأنماط الحياة وقواعد العرف والتقاليد والفنون والتكنولوجيا السائدة في ذلك المجتمع والتي يكتسبها أعضائها ويلتزمون بها في سلوكهم وفي حياتهم، فكل ما أنتجه الإنسان لا يخضع لضغط وتأثير البيولوجيا بل إنه عمل ينسب إلى الثقافة لأنه يندرج ضمن ما تعلمه الإنسان تعلما يضاف إلى ذلك أنه استطاع تحسين أدائه البيولوجي بتطوير تجاربه والإفادة منها، فلم يعد أداؤه في هذا الجانب كأداء الحيوانات الأخرى.

وعلى العموم فإن التعاريف كثيرة ومتباينة ومتباعدة، وقد أشرنا لبعضها حول هذا المفهوم، ولكن استعراض مختلف التعاريف يحيلنا إلى ضرورة التأكيد على أن أغلب مضامينها ومعانيها يتدرج إلى استخدامات المختلفة، كما يؤكد الأنثروبولوجيين أنفسهم، من هذه الاستخدامات أو المدلولات في إطار المجتمع نذكر:

1- للدلالة على أساليب الحياة ومخططات الحياة المكتسبة بالتعلم والشائعة في وقت معين بين البشر جميعا.
2- للدلالة على أساليب الحياة الخاصة بمجموعة من المجتمعات التي يوجد بينها قدر من التفاعل (كالمجتمعات الإسلامية...).
3- للدلالة على أنماط السلوك الخاصة بمجتمع معين (في الأكل، في اللباس...)؛
4- للدلالة على أساليب السلوك الخاصة بشريحة أو شرائح معينة داخل مجتمع كبير على درجة من التنظيم المعقد (شريحة مهن معينة كالأطباء، الجماعات الفرعية، الاثنيات...).

المحـــاضـــرة6

6. خصائص ومقومات الثقافة:

تتميز موضوعات الثقافة بخصائص ومقومات جوهرية في أي ثقافة إنسانية سواء كانت بسيطة أو معقدة، والثقافة من هذا المنظور تخص الإنسان دون غيره من المخلوقات لكونه يتميز بالعقل والقدرة على الإبداع والابتكار والتطور وكل مجتمع له ثقافته المميزة له دون غيره من المجتمعات ولا يفوتنا أن نشير للتشابه أو السمات الثقافية المتشابهة ،التي تسري عبر الانتشار والتقليد وهذا لا ينفي إمكانية التشابه والتجانس في بعض الجوانب الثقافية بين البشر ولكنه لن يصل إلى التطابق بل اعتبارها نوع من الاستعارات والنقل عند اتصال الشعوب فيما بينها، والثقافة أبدا لم تبقى ساكنة حيث أنها خضعت للتطور والتغير، ورغم كل هذه الاعتبارات إلا أن للثقافة خصائص عامة تشترك فيها مهما كان نوعها بين البسيط والمركب وفيما يلي يمكن الإشارة إلى أهم المقومات والخصائص التي تميز الثقافة ومنها نذكر:

أ- أن الثقافة ظاهرة تخص الإنسان:

يعد الإنسان الكائن الوحيد على البسيطة من يمتلك الثقافة ويتفرد بها، وهو من يمكنه إنتاجها وصناعاتها والمحافظة عليها وتطويرها، لقد طور الإنسان ملامح البيئة المحيطة به وكيفها حسب حاجاته

واخترع كل ما يمكنه أن يجعله يعيش بسهولة ويسر من مأكل وملبس ومسكن واخترع الكثير من الوسائل والأفكار والأدوات والآلات التي تخدم حياته وابتدع اللغة والرموز والإشارات وطرق الاتصال التي نظمت حياته.

وهذا يؤكد مستويين يميزان الكائن البشري وهي «ما يمكن تسميتها بالاستعدادات الخلقية الفطرية لصالح استعمال الرموز الثقافية وانتاجها، ومن جهة أخرى، المعالم الظاهرية لاستعمال والإنتاج الفعلي للرموز الثقافية»، كوجود الاستعداد الفطري للغة في بنية مخ الإنسان دون غيره من المخلوقات وإنتاجها واستعمالها.

إن الإنسان يعيش في إطار جماعات منظمة أو تتميز بقدر من التنظيم ويتشارك الفرد مع هذه الجماعات أنماطا من السلوك كما أن الجماعات الإنسانية تتميز بقدر من الخصوصية الثقافية تميزها عن غيرها من الثقافات الإنسانية «وبذلك يمكن القول بأن كل مجتمع إنساني له ثقافته التي تميزه، ما دامت الثقافة هي إبداع إنساني كجماعة ما من الجماعات، ومحصلة التفاعل بين الإنسان والبيئة، طور الإنسان خلالها الكثير من أنماط السلوك». وهذا ما يعبر عن نضج المجتمعات وانفرادها بالثقافة دون غيرها من المخلوقات.

ب- إن الثقافة تكتسب عبر عملية التعلم: (الثقافة عملية تعلم واكتساب)

الإنسان ككائن اجتماعي منذ ولادته في إطار مجتمعه يتعلم ويقلد مختلف أنماط السلوك التي تحدد سماته الثقافية الموافق لثقافته. إن العملية التي بموجبها يتشرب الفرد عبرها ثقافته تسمى بعملية التنشئة الاجتماعية وتعرف التنشئة الاجتماعية بأنها «العملية التي عن طريقها يكتسب الطفل الاتجاهات والقيم والدوافع وطرق التفكير والتوقعات والخصائص الشخصية الاجتماعية التي ستميزه كفرد في المجتمع في المرحلة القادمة من نموه».

وتتأثر هذه العملية بثقافة المجتمع الذي أنتجها وبالتالي فإن الفرد هو نتاج ثقافته والتي تميزه عن الثقافات الأخرى ،ومن هنا تعد الثقافة محصلة لكل ما تعلمه الفرد من المجتمع أنماط السلوك والعيش والتفكير ومختلف المعارف والعادات والأعراف والمعتقدات والاتجاهات والقيم والفنون...، وترى دورثي لي (Horthy Lee) أن« الثقافة نسق من الرموز بواسطته يعطي الأفراد معنى لكل ما هو موجود حولهم، فالسلوك الانساني كما تحدده الثقافة نسق يربط الفرد بعالمه... »، يتعرف عليه عبر عملية التلقين

والمحاكاة ومن أمثلة هذا التلقين والمحاكاة أو التعلم والفروق في طرق التعلم ما أوردته الدراسات الأنثروبولوجية عن عمليات التنشئة في قبائل معينة كقبيلة (الأرابيش) التي يشترك فيها أفراد القبيلة (أناثون كورا) في أنماط السلوك التي تتسم بصفات أنثوية ،وهذا يختلف طبعا عن الثقافة العربية التي تفرق بين الذكور والإناث، أما في قبيلة (المونديجمور) الذكور والإناث يتميزون بالعدوانية وفي قبائل (التشامبولي) «نجد الرجال يتميزون فيها بقلة الشعور بالمسؤولية والاتكالية والانفعالية، على حين أن النساء يتميزن بالميل للسيطرة وغلبة روح العمل عليهن والتجافي في النواحي الشخصية الإنسانية... »، وهذه النماذج الثقافية موجودة في مختلف المجتمعات التي تحرص على تلقينها للأفراد بمختلف الطرق والسبل التنشئية.

ت- الثقافة أداة توافق وتكيف:

إن الثقافة تعتبر أداة يستطيع الإنسان عبرها أن يتكيف مع مختلف التغيرات التي تطرأ على المجتمع وعلى البيئة، ويطلق على هذا المجال الاتجاه الايكولوجي لفهم عملية التكيف وذلك بدراسة البيئة الاجتماعية والثقافية للمجتمع أي دراسة أثار الظروف الإيكولوجية على طبيعة الثقافة والمجتمع ذاتهما، ذلك أن حجم المجتمع وطريقة تنظيمه ترتبط على نحو ما ارتباطا واضحا بالإيكولوجيا....

ث- الثقافة مستمرة ومعقدة ومتسعة:

تتمثل استمراريتها في ذلك التواصل بين الأجيال وعمليات النقل الثقافي في إطار المجتمع، فالفرد ينشأ في إطار مجتمع ينقل إليه ثقافته، ومن هنا يتم الحفاظ على الثقافة واستمرارها، أما التعقيد فيتمثل في كون الثقافة متنوعة وتشتمل كمّا هائلا من السمات والملامح والعناصر والمركبات الثقافية ،التي تختلف من مجتمع لآخر من زمان لآخر بالإضافة إلى ذلك فان الثقافة تراكمية وهذا ما يزيدها تعقيدا، أما الاتساع فيتمثل في الانتشار الواسع لها حيث أنها لا تمس فئة اجتماعية معينة أو مجتمع دون غيره فكل المجتمعات الإنسانية لديها ثقافة سواء كانت بسيطة أو معقدة.

ج- الثقافة متغيرة وديناميكية:

يظهر أن الأنماط الثقافية أو كل ما يشكل الثقافة يخضع للتغير المستمر وبالإضافة عبر الزمن ،وطبعا تختلف درجة التغير بالبطيء أو بالسرعة حسب حجم المجتمع وموقعه الجغرافي وقابليته للتغير ودرجة عزلته واحتكاكه أو اتصاله بالآخر، فقد تزول ثقافات أو تتواصل أو يتغير جزء منها نتيجة عوامل

متعددة كالغزو الثقافي والاستعمار المادي والاحتكاك بطرق سلمية كالهجرة أو اختراق الثقافات فيها يعرف بالعولمة التي ساهمت في إحداث تغيرات على الثقافات الإنسانية في كل مكان .ويظهر أن الثقافة تتطور وتنمو وهي غير ثابتة أو ساكنة بل ديناميكية سواء حدث ذلك بسرعة أو ببطيء متناهي حيث أن هنالك ثقافات مرنة يمكنها الاندماج والتغير بسرعة وأخرى صلبة ومقاومة ويمكنها أن تتغير لكن ببطيء مع المقاومة.

ح- الثقافة تحمل رموزا ومعاني ومعايير:

تتطور الثقافة بفضل الرموز، حيث يؤدي الرمز دورا هاما في صنع وإنتاج وصياغة الثقافة وذلك باختزال ما هو مادي إلى معنوي، أي قد يكون الرمز ممثلا لشيء كبير مادي كالشعارات والاعلام أو الرايات التيتمثل دولا، والرمز مخترع إنساني، كالرمز الذي يمثله اللون الأحمر حسب المواقف التي تعبر عن الخطر، إشارة الوقوف، علم، فرح، عنف...)، والشعارات التي تمثل ماركات معينة أو مجالات معينة (كشعار التمساح في اللباس الرياضي...).

وتمثل اللغة وعاء الفكر وأسلوب ترميز يلخص أساليب السلوك وهي أهم الأنساق الرمزية في هذا المجال ،فالثقافة لا تتكون فقط من أساليب السلوك المتعلمة التي تراكمت على يد أفراد كثيرين عبر أجيال عديدة ،ولا يتيسر تراكم السلوك المتعلم إلا من خلال وضع رموز معينة واستخدامها، إذن بدون هذه الوسيلة يصبح التعليم جامدا وغير قابل للتقدم إلى الأمام، ويوجد العنصر الرمزي في مختلف أنواع النشاط الإنساني كاللون الأبيض الذي يعبر عن الطهر والأسود عن الحزن والأخضر للسلام وغيره، والمعيارية في هذا الإطار تظهر في تحكم عوامل ثقافية معيارية مكتسبة في حياة البشر، فيسيرون على نهجها ويوظفونها ويتم قبولها وإعادة إنتاجها في حياتهم اليومية.

خ- الثقافة كل مركب لوجود المجتمعات وخصوصيتها:

يظهر هذا الجانب أن الثقافة كما بين تايلور متعددة العناصر ومتشابكة وتعني وجود ترابط وظيفي ومعرفي وسيكولوجي بين عناصر مختلفة تشكل في مجموعها نسقا يسمى بالثقافة ويمكن التمثيل لذلك بالعلاقة بين الدين والعادات والتقاليد والسلوك والرموز واللغة والتاريخ ،يكوّن الجمع بين هذه العناصر شيئا يسمى ثقافة المجتمع، هذه الثقافة المتعددة العناصر والمكونات تمثل بدورها خصوصيات ثقافية تميز

مجتمع عن آخر أو مجموعات ثقافية عن مجموعات ثقافة أخرى وهي ليست حكرا على مجتمع دون غيره، فكل مجتمع مهما كانت ثقافته وجود ثقافي يميزه عن غيره ويحميه من المؤثرات الثقافية الدخيلة.

المحاضرة 7

7. المكونات الشكلية المتداولة في الأنثروبولوجيا الثقافية:

هناك العديد من المفاهيم أو المكونات الشكلية للثقافة متداولة عبر الدراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية ومن هذه المكونات سنتناول التالي:

أ- البؤر الثقافية (Point central de la culture):

أو منطقة المركز للظاهرة كبؤرة الزلزال وهي تعني السمة الغالبة لثقافة ما كالسمة الغالبة اليابانيون في التقليد السريع للحياة المعاصرة مع المحافظة على القيم التقليدية المتوارثة (طريقة اللباس، الأكل الضيافة ...) ويلاحظ أن هذا المفهوم يستعمل ليدل على الطابع لثقافة ما، وأحيانا يبرز للواجهة مصطلح يقاربه يتمثل في السمة المميزة لثقافة ما كالطابع الثقافي التقليدي الذي تحافظ عليه ثقافة ما هوية لها كالمجتمعات التقليدية والمجتمعات ذات الطابع التقدمي أو العصري ،كذلك المجتمعات التي تجمع بين التقليدي المحافظ على القيم المتوارثة والمعاصر المتغير والمتجدد ونموذجنا في ذلك ما ذكرناه حول المجتمع الياباني أو الثقافة اليابانية المعاصرة أما المجتمعات ذات الطابع المحافظ وأحيانا الرافض لثقافة الآخر مع حنينه للماضي وسمته التخلف والرجعية كالمجتمعات العربية الإسلامية التي يسودها القيم الروحية كالاحتكام للعرف وتبني قيم الشرف ونجد كذلك تبنيه للقيم المعاصرة جدا أي يجمع النقيضين.

وهناك المجتمعات ذات الطابع المعاصر جدا، ذات القيم الفردية الأنانية الانضباط وسيطرة القيم المادية كالمجتمعات الغربية، و هناك عديد النماذج من المجتمعات التي تمثل بؤر الثقافية تقع في دائرتها ثقافات أخرى لا يسع المجال لتناولها كلها هنا.

ب- السمة الثقافية (Trait culturel):

أو الوحدة الأولية في بناء الشخصية أي العلامة التي تعرف بها ،ويراد بهذا المفهوم العنصر أو الوحدة (unité) وبيولوجيا الكلمة تستعمل للدلالة على صفات جسدية وفيزيولوجية متوارثة كالسمات المعروفة في بعض الأعراق البشرية، أما الاستعمال النفسي فيدل على سلوكيات تحملها الشخصية كالأمانة والصدق والكرم وغيره، وفي علم الاجتماع تدل على نمط اجتماعي عام سواء أكان فردي أو ثقافي وغيره، وعلى العموم هذا المفهوم يستعمل للدلالة على أصغر وحدة يمكن تمييزها من الوحدات المماثلة في البناء الثقافي وقد تكون هذه السمة صبغة أو خاصية ثقافية معنية، ومن السمات الثقافية تتكون الأنماط والمركبات الثقافية التي هي عبارة عن مجموعة من السمات التي يرتبط بعضها ببعض ارتباطا متبادلا وتكون كلا متصل الأجزاء.

فربطة العنق مثلا هي وحدة ثقافية مرتبط بنمط اللباس الغربي، وطرق التحية كذلك لها ارتباط بالثقافة التي تنتمي إليها كالأنحاء في المجتمع الصيني والمصافحة في المجتمع المسلم...الخ، وكذلك سمات ثقافية تتميز بها مجتمعات معنية أو مجموعات معنية كالنباهة، البلادة، كثرة الحركة، البرود ،الخديعة أو الفهلوة بالتعبير المصري الدارج ...الخ.

ت- الدائرة الثقافية (Cercle culturel):

أو المركب الثقافي وهي مراكز ثقافية تتحول إلى السيطرة أي دائرة ثقافية واحدة تلتقي معها ثقافات أخرى ،ويلاحظ أن هذا المفهوم يدلّ على مجموعات ثقافية اكتسبت صفة تاريخية ذات خصائص متميزة وذات مجال مكاني محدد ... إذا ما أخذنا في اعتبارنا مجموعة من السمات الثقافية في وقت واحد تتعلق بعضها بالطعام والبعض الأخر ببعض الصناعات السائدة، وربطناها بالوحدات الاجتماعية أو القبلية أمكننا تحديد جماعات ذات معالم محددة ثقافيا، كما يمكن تصنيفها حسب سماتها الثقافية المتشابهة، وتكون لنا دوائر ثقافية متشابهة يمكن الاستدلال منها على الكثير من العمليات الثقافية.

فمثلا نجد نفس الثقافة منتشرة في أماكن مختلفة عبر العالم كنمط الاقتصاد الرأسمالي المنتشر في أماكن واسعة من العالم أو انتشار الإسلام في أماكن كثيرة أو المسيحية، البوذية ... الخ. إضافة إلى طرق العمران وكذا العادات وأدوات العمل، والفن (كالراب، الجاز، الراي...) وهناك ثقافات متماسة ومتشابهة لاحظ مثلا الثقافات التي تكون ذات تماس حدودي كتونس والجزائر حيث تتشابه في اللهجة وفي اللباس وغيره.

وإذا أخذت الدائرة الثقافية من ثقافات أخرى لتعويض النقص فيها فهنا تتغير المعادلة، ولا يصح أن نقول دائرة ثقافية لأنها لم تكمل ذاتها بذاتها بل احتاجت للآخر.

ث- الثقافة الفرعية أو الثانوية أو الثقافة ذات الخصوصية الثقافية (Spécialité culturelle):

وهي تعني الثقافة الخاصة بمجوعة معنية أو قسم معين من أقسام المجتمع وهي جزء من الثقافة الكلية للمجتمع، يعني لها خصائص مشتركة مع المجتمع الكلي لكنها تختلف عنه في جزيئات معنية أي تحمل ملامح التمايز والتغاير داخل المجتمعات، وذلك في إطار ثقافي واحد، ودون أن تؤدي هذه الخصوصيات إلى فقدان التجانس العام للمجتمع، مثلا في المجتمع الجزائري نجد العديد من الثقافات الفرعية (كالشاوية، القبائلية، الطارقية، الصحراوية،...الخ) وكلها يدور في فلك ثقافة واحدة هي الثقافة الجزائرية كثقافة عامة ومشتركة العناصر.

ويلاحظ انه كلما زادت الثقافات الفرعية أو الأقليات الثقافية في المجتمع فإن ذلك قد يؤدي إلى إضعافه أو يقلل تماسكه أو تعارضه وتصارعه أو تهدد استقراره وأمنه كما يحدث في المجتمعات الاثنية أو الطائفية (كالعراق ولبنان مثلا).

ج- الانتشار الثقافي (Diffusion de la culture):

يدل هذا المفهوم على انتقال سمة ثقافية أو نموذج ثقافي أونظام ثقافي بأكمله من مجتمع لآخر وانتشاره ويحدث الانتشار الثقافي من خلال وجود مكان للثقافة تنشأ فيه كنموذج ثقافي مخترع أو مكتشف ومن ثم انتقاله لمجتمعات أخرى أو استعارته من مجتمع الاكتشاف ،وهنا يصح مفهوم الانتشار الثقافي، والذي قد يتم بطرق سلمية أو غير سلمية، كانتشار الثقافة الغربية عبر العالم بطرق سلمية عبر ما يعرف بالعولمة أو الاتصال والإعلام والتكنولوجيا أو غير سلمية كالحروب والغزوات...، كما يلتقي مفهوم الاتصال الثقافي بالانتشار الثقافي كما سنرى تاليا.

ح- الاتصال أو الاحتكاك الثقافي (Contact culturel):

أو ما يعرف عمليات التثاقف والتزاوج الثقافي وهذا المفهوم يعبّر حسب "ميلفن هيرسكوفيتس" (Herskovits) و"رالف لينتوون وروبرت ردفيلد" عن موقف التقاء الثقافات المتباينة وحدوث التفاعل بينهما سلبا أو ايجابيا وعمليات التثاقف تشمل التغير الثقافي الذي يطرأ على بعض الظواهر كمحصلة لدخول جماعات من الأفراد في علاقات مباشرة. ويكون هؤلاء الأفراد أو هذه الجماعات من ثقافات متباينة إذا يترتب على ذلك تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى هذه الثقافات[1] ،فدخول الثقافة الغربية إلى مناطق عديدة من العالم خاصة إلى الثقافات البسيطة أحدث تغيرا هائلا في طرق عيشها وسكنها وطرق استهلاكها ومعاملاتها الاقتصادية والثقافية، وحتى تغيرات في ملامح تركيبية سكانها الفيزيولوجية بفعل التزاوج بين المجموعات البشرية المختلفة، وهذا فعلا ما أحدثته العولمة اليوم في المجتمعات بشكل عام والمجتمعات العربية الإسلامية بشكل خاص.

خ- النمط الثقافي (Type culturel):

أو معيار السلوك ويعني مجموع السمات أو أسلوب معين من أساليب السلوك، يمثل جزءا من ثقافة معينة، ولو أمعنا التأمل فسوف يتضح لنا على الفور أن الأنماط الثقافية ليست جميعها من نوع واحد والثقافة تنطوي على نمطين أساسين، هما النمط المثالي أي ما ينبغي أن يقوله ويفعله الفرد في مجتمع ما في مواقف معينة، مثل وجود إشارات المرور والتي من الواجب أن تحترم (احترام القانون) والنمط الثاني هو النمط الواقعي أي ما يمارسه الناس في العادة ،وفي نفس المثال عن إشارات المرور، هو كيف يتصرف الناس أمامها فعندنا مثلا غالبية الناس لا تمتثل لها إلا إذا وجد الشرطي أو الدركي قي الطرقات حيث يصبح هذان الشخصان أكثر تمثيلا للقانون من القانون ذاته بدونهما.

كما يمكن أن يكون النمط الثقافي مقبولا في مجتمع وغير مقبول في مجتمع أخر كثقافة العري التي تعد نمط سائد في بعض المجتمعات كالمجتمعات الغربية ولكنه في ثقافتنا يعد منافيا للآداب العامة والمتفق عليه ثقافيا ،كما يمكن أن يتغير النمط الثقافي من فترة لأخرى، فما كان مقبولا في زمن ما قد يكون مرفوضا في زمن أخر أو العكس.

د- الثقافة الشعبية (Culture populaire):

هي كل ما يتعلق بسلوك شعبي ماديا ومعنويا أو انجازات الشعب، فمعنويا يتصل بالتراث الشعبي أو الفلكلور الذي هو الأدب المتناقل شفهيا أو أكثر شمولا هو كل ما يتم تناقله شفهيا في المجتمع من عادات وتقاليد وموسيقى ورقص وأدب شعبي وفن شعبي وخرافات ومعتقدات أي ما يؤمن به الشعبي أو المعتقدات الدينية كتصوراتنا عن الأرض، الموت، العالم الأخر، لمس الحطب، تقبيل الخبز، الاعتقاد في الأماكن والخوف من ألوان بعض الحيوانات وغيره.

أما ماديا أو الثقافة المادية فهي كل ملموس محسوس كاللباس والصناعات التقليدية، طرق حفظ الغلال ، طرق دفن الموتى، الديكور، الألعاب الشعبية كالفروسية، الحلي وطرق التزين أو التشكيل الشعبي من أزياء وأدوات زينة وعمارة شعبية ووشم ورسوم جدرانية.

ذ- التشكيل الثقافي (Configuration culturelle):

يستعمل هذا المفهوم للدلالة على عملية اكتساب الفرد للشخصية الاجتماعية، وهي تعني الوسائل والكيفيات التي يكتسب بها الطفل تدريجيا عادات وتقاليد وعقائد وقواعد السلوك السائدة في المجتمع الذي ينشأ فيه ويتم ذلك بطرق محددة متفق عليها في المجتمع كالحلال والحرام أو المسموح والممنوع أو ما يعرف بالضبط الاجتماعي أو الإيحاء الاجتماعي كالغمز والتقليد ...الخ.

ر- التغير الثقافي (Changement culturel):

يدل هذا المفهوم على عملية التحول في بعض أو جزء أو كل العناصر الثقافية في المجتمع كالدين والعلم والفن واللغة ...، نتيجة عوامل التغير أو هو أي تغير في احد النظم الاجتماعية ،ومن مظاهره التغير الحاصل في العالم بفعل عوامل معينة كالحروب والغزوات أو تدخل وسائل الاتصال والإعلام، أو تغير برامج معينة في مجال معين كما حدث في نظام التعليم في الجزائر خاصة التعليم بأطواره الثلاث (الإصلاح، الجيل الأول، الجيل الثاني ..الخ) وكذلك في الجامعة بعد إلغاء النظام الكلاسيكي واستبداله بنظام (LMD).

ز- النسق الثقافي (Système culturel):

يدل هذا المفهوم على مجموعة من أوجه النشاط المتصل بعضها ببعض اتصالا معنيا، بحيث تسير وفق فكرة تجمعها في إطار كلي وهو موجود في مكان معين وزمان معين يتعلق بثقافة معينة قد تمثل مجتمعات عديدة تبدو مختلفة في بعض أجزاءها ،لكن تتوحد نتيجة وجود عامل مشترك كالثقافة

العربية الإسلامية المطبوعة بطابع خاص اليوم فعاملها المشترك الأساسي هو الدين وممارسته أو في مرحلة من مراحل التاريخ كالعصر الأموي أو العباسي أو العثماني ... وكذلك المجتمعات الرأسمالية اليوم التي يوحدها الاقتصاد وتختلف في بعض أو الكثير من الجوانب.

س- الثقافة الهامشية (Culture marginale):

يدل هذا المصطلح على الثقافة المتاخمة لثقافة أخرى ولكن هذه الثقافة أي الهامشية تتصف عادة بكونها أفقر أو أدنى من الثقافة المجاورة لها من ناحية الموارد التقنية، والى جانب المدلول الجغرافي لهذا المفهوم يوجد له مدلول آخر يستخدم في ذات المعنى والمسماة بالثقافة المتخلفة يقابلها الثقافة الراقية.

بالإضافة إلى المكونات المستعرضة فانه يمكننا ذكر مفاهيم أخرى كالثقافة الرسمية، الثقافة الروحية المثير الثقافي، البيئة الثقافية، التنوع الثقافي، البناء الثقافي...الخ.

المـحـاضــرة 8

8. مجالات الأنثروبولوجيا الثقافية:

نتيجة لاتساع المجالات التي تدرسها الأنثروبولوجيا الثقافية في كل من أمريكا بريطانيا، فقد انقسمت إلى فروع معينة أهمها علم الآثار وعلم اللغويات والاثنولوجيا وسنحاول تفصيل هذه الفروع للتعرف على طرق دراسة الثقافات الإنسانية مهما كان نوعها وفي أي زمان وجد فيه الإنسان.

1. علم الآثار أو الاركيولوجيا (Archéologie):

عند قولنا علم الآثار فانه مباشرة نستحضر تلك الشواهد المادية التي خلفها الإنسان في أماكن متعددة في الأرض (كالمخالفات الأثرية المتعلقة بالآثار الرومانية أو الإسلامية) وعلم الآثار من هذا الباب يهتم بدراسة أشكال المجتمعات القديمة بطريقة تتبعية وذلك بإعادة رسم صور الأشكال الثقافية والحضارية الماضية والبائدة أو عملية التطور الثقافي للثقافات المعاصرة وكيف وصلت إلى حالتها الراهنة ،متبعا تطوراتها وتغيراتها زمنيا ،ويعتمد في ذلك على ما هو موجود من مخلفات وشواهد ورواسب وآثار متنوعة كالأدوات والأسلحة والأواني والفخار والآلات والنقوش والرسوم والكتابات أو بقايا العظام والأجسام البشرية والحيوانية والنباتات المتحجرة في الرواسب والحفريات وبقايا العمران والمساكن والقصور والحصون

والكهوف وبقايا المعابد والأساليب الزراعية والأدوات المدفونة مع الأموات والسجلات المكتوبة والنقوش والمنحوتات...، كبقايا مضمون ثقافي لأي ثقافة من الثقافات الإنسانية، ومنه فان اسهامات عالم الآثار هامة جدا بكونه يثري معرفتنا بتاريخ الثقافات وتطورها، فبواسطته نتعلم أين ومتى اكتسب الإنسان الثقافة أول مرة، كما نتوصل إلى معرفة تطور الثقافات البشرية وأساليب تعقب النمط الثقافي في أجزاء العالم المختلفة، فيمكن على سبيل المثال أن نلاحظ بداية استخدام معدن البرونز والحديد في صنع الأدوات والأسلحة في مناطق مختلفة.

كما يمكننا اكتشاف أن التطور الثقافي لم يسر بالمعدل نفسه والسرعة نفسها في كل المجتمعات فهناك التي حظيت بنصيب كبير وسارت في خطى سريعة نحو التغير والنمو كشعوب أوروبا، بينما كانت بعض الشعوب والمجتمعات بعيدا جدا عن هذه التغيرات، تمثل سكان استراليا الأصلين أو بعض القبائل الإفريقية.

ومع التطورات العلمية والمعرفية صار عالم الآثار يستعين بالكثير من التقنيات والأدوات والتكنولوجيات المتطورة لفحص المخلفات والبقايا التي يتحصل عليها مما ساعده على التعرف على العديد من المعلومات القديمة التي لم يستطع التعرف عليها بالأدوات والتقنيات البسيطة الخاصة بمختلف الثقافات والحضارات الإنسانية وتغيراتها واتصالاتها بغيرها من الثقافات في عمليات الانتشار الثقافي وغيره من العمليات.

وفي هذا الصدد يتعاون علماء الآثار ويستعينون بالأنثروبولوجيين والمؤرخين وعلماء الأرض أو الجيولوجيا وعلماء النبات والحيوان والمناخ وحتى علماء الفلك لفك رموز الثقافات أو التحقق من هويتها وهوية ما تم العثور عليه ،وكثيرا ما يستخدمون التجارب المعملية لاكتشاف خصائص ومناخ البقايا الأركيولوجية، ويتطلب عمل عالم الآثار معرفة واعية بالكيمياء والطبيعيات والمهارات الدقيقة وقد نجح العلماء المحدثون في اختراع وسيلة جديدة لتحديد عمر (البقايا) بدقة وهي طريقة الكربون المشع... وتعرف باصطلاح (ك14) بالإضافة إلى التألق الحراري واستعمال التقنيات الموجودة في الإعلام الآلي كالبعد الثالث(3D)، فمثلا الكتابة الهيروغليفية لم يتم كشف رموزها الحقيقة إلى مع تطور العلوم ففي بداية اكتشافها لم تكن مفهومة وبقيت لغزا محيرا.

لقد اسهمت هذه الاكتشافات في معرفة مدى تأثير الثقافة في سلوك الإنسان المجسد في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة، بمعنى معرفة العلاقة بين الثقافة والسلوك ومعرفة التباينات

الموجودة بين الثقافات والحضارات المختلفة كالاختلافات بين الحضارة الفرعونية في مصر القديمة والحضارة البابلية في العراق والحضارة الإغريقية في اليونان، وغيره من الثقافات والحضارات التي عرفتها الإنسانية واحتفظت ببقايا تدل على مرورها في مكان وزمان ما.

2. علم اللغويات:

ينحصر اهتمام هذا العلم بجانب مهم من الثقافات الإنسانية والتي تشمل لغته كهوية وكيان ووعاء فكر أو أداة لتنقل أفكاره واتصاله والتعبير عن مكنوناته عبر الرمز والإشارة والصورة والشكل أو أشكالها الرمزية وتعقيداتها ونموها سواء كانت لغات قديمة كاللغة اللاتينية واليونانية والسنسكريتية والهيروغليفية ...الخ، أو اللغات المعاصرة وذلك بالاهتمام بأصولها وبنائها وتطورها ودلالاتها وبذلك يتمكن عالم اللغويات من إعادة صورة تاريخ اللغات والأسس اللغوية.

كما يقارن اللغات بعضها مع بعض ليتوصل إلى تحديد السمات المشتركة بين اللغات في كل زمان ومكان، ويحاول دراسة اللغات من خلال الاستعانة بهاتين الوسيلتين أن يفهم العمليات التي بمقتضاها تظهر اللغات إلى الوجود وتصل إلى هذه الدرجة من التنوع التي نجدها عليه اليوم. وبالتالي يستطيع أن يعيد لنا صورة تاريخ اللغات والأسر اللغوية ويقارن بينها لتحديد السمات المشتركة، وفهم كيفية ظهورها في المجتمعات المختلفة.

ولهذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية فروع منها علم اللغويات الوصفي الذي يهتم بتحليل اللغات الغير المكتوبة في زمن معين ونظمها الصوتية وقواعدها ومفرداتها، والثاني هو علم أصول اللغات الذي يهتم بالتاريخ المقارن أي العلاقات التاريخية التي تربط مختلف اللغات المكتوبة وهنا يتبين مهمة عالم اللغويات المنحصرة في فهم دور اللغة في المجتمعات الإنسانية ورسم صورة عامة عن هذه المجتمعات سواء كانت قديمة أومعاصرة.

كما ويشمل فرع الأنثروبولوجيا اللغوية فروع جزئية أخرى منها اللغة التاريخية كتاريخ ظهور اللغات وتباينها وتنوعها واللغات الوصفية وتهتم بكيفيات اختلاف اللغات المعاصرة خاصة طريقة تكوينها واستخدامها ،بالإضافة إلى علم اللغة المجتمعي وهو كيفية استخدام اللغة في حياتنا وأحاديثنا اليومية .

وحاليا تقدم علم اللغويات بشكل كبير وصار يعتمد مناهج وأدوات وآليات متطورة ودقيقة لدراسة مختلف اللغات عبر العالم ومنها اللغات القديمة والحالية أو المعاصرة.

3. الاثنولوجيا المعاصرة:

يعد هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية اختصاص يقوم على الدراسة التحليلية المقارنة بين مختلف الثقافات والأقليات والإثنيات والأعراق والمجموعات والسلالات الإنسانية بمعنى أنه «يختص بدراسة ثقافة المجتمعات الموجودة وقت الدراسة وكذلك الحضارات التي انقرضت بشرط أن تتوافر عنها سجلات مكتوبة وشواهد حية تلقي الضوء على هذه الحضارات، ويهتم الاثنولوجي بدراسة ووصف الثقافات المختلفة أينما وجدت (كثقافة الانكا وهي تقريبا مفقودة وغريبة) ،سواء في القارات القطبية الشاسعة أو في صحراوات وغابات إفريقيا أو في الجزر المتناثرة في المحيط الهادي أو في المدن المزدحمة في أوروبا وآسيا وأمريكا... يبحث في كل ثقافة المجتمع فيدرس النظم السياسية والاقتصادية والدينية والفنون والعادات والتقاليد... »

إن دراسات الاثنولوجيا تنطلق من مبدأ أن الثقافات الإنسانية تختلف من مجتمع لآخر وحتى داخل المجتمع الواحد تختلف وتتباين زمنيا ومكانيا. وتعمل الاثنولوجيا على تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات التي تقوم بدراستها فهي تدرس ثقافة معينة «وتعمد إلى المقارنة المنهجية المنظمة بينها وبين ثقافات أخرى لتتوصل إلى تحديد بناء تلك الثقافات، وكيفية أدائها لوظائفها للتعرف على أوجه التشابه والاختلاف القائمة بينها، وذلك بهدف الوصول إلى المبادئ العامة والقوانين والقواعد التي تخضع لها هذه الظواهر عن طريق إجراء الاختبارات الواقعية على هذه الثقافات لتتحقق من صحة المبادئ والفروض التي صيغت من قبل عن طريق علماء الإنسان أو دراسي الأنثروبولوجيا».

وتعتمد طريقتهم على التحليل والوصف والمقارنة وذلك بمعالجة الظاهرة في ضوء الماضي ودراسة الوقائع عبر الأزمان وتغيراتها الثقافية وآثار الاتصال بين الثقافات المتنوعة والقيام بتصنيفها إلى مجموعات على أسس ومقاييس معينة.

والإثنولوجيا المعاصرة صارت تهتم أكثر بمواضيع أعمق ،ومنها دور الفرد في المجتمع وارتباط نمو الشخصية بالتراث الثقافي للوصول إلى تعميمات وإجابات مدى دور الفرد في بعض العمليات الثقافية كالاختراع والاكتشاف ونشر السمات الثقافية وانتشارها، ووسائل تشكل الشخصية الفردية وأنواع السلوك الذي تحبذه الثقافة والسلوك الذي ترفضه، إضافة إلى الاهتمام بأنماط التفكير السائدة في مختلف الثقافات الحالية خاصة في الأماكن التي تشهد توترات ونزاعات وحروب، والتركيز كذلك على عادات الزواج والروابط القرابية والسلوكيات السائدة في مختلف المجتمعات والفنون والموسيقى وطرق اللباس والعادات

المستحدثة وغيره. وصنفت الإثنولوجيا المعاصرة بعد تغير اهتمامات دارس موضوعاتها السالفة الذكر إلى فئات رئيسية ومنها:

1- الإثنوغرافيا وتتضمن دراسة وبحث العلاقة بين السلوك والبيئة الطبيعية....
2- دراسة الشعوب في الماضي وأهم مصادره الوثائق والآثار والمعابد... والرسومات... وهدفها التعرف على الثقافات القديمة ومدى تأثيرها على سلوكيات الناس ونمط معيشتهم واسباب تمركزهم في مناطق دون غيرها واسباب انقراضهم أو استمرارهم..).
3- الدراسات المقارنة تعقد مقارنات بين مختلف الثقافات في عصر معين أو عصور مختلفة ،وهي تحاول رصد جوانب التطور في الثقافات باختلافها ،وسبب هذا التطور وربطه بالبيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان وانتشار العادات في الماضي والحاضر وأسباب وجود بعض الظواهر الثقافية في أحد المجتمعات دون الأخرى.

المـحـــاضـــرة 9

9. الدراسات الحقلية في الأنثروبولوجيا الثقافية:

سنتناول في هذا الاطار الدراسات الحقلية التي تم اجراءها في الانثروبولوجيا الثقافية كدراسة الاساطير والاعراف ،والعادات والتقاليد ، والمعتقدات والتراث الثقافي والقانون والفنون والفولكلور وموضوع الجسد والممارسات التي ترافقه وكل ما له علاقة بالثقافة ، وسنشير لبعض الدراسات كنماذج ملخصة لهذا الفرع الهام وسنفصل بعضها حسب موضوعات التناول في الآتي :

1/ الثقافة والشخصية:

يلاحظ أن أغلب الدراسات الحقلية في الانثروبولوجيا الثقافية يندرج في باب الدراسات المتعلقة بالثقافة والشخصية والدراسات الحقلية التي انطلقت من هذا الموضوع بدأت مع أعمال فرانس بواز في جزيرة بافن بالاسكيمو وادوارد سابير العام 1934 وجسدها في مقال له والمعنون بـ : ظهور مفهوم الشخصية في دراسة الثقافات ،وكذا أعمال سيلجمان في مقال له حول الثقافة والشخصية ،وأعمال كلاكهون ومورار في دراستهما عن الثقافة والشخصية وفي سياق دراستهما كما يؤكد عامر مصباح طرحا أربع محددات كوحدات تحليل لهذه الشخصية وهي:

1. الجبلية
2. عضوية الجماعة
3. الدور
4. المركز الاجتماعي

وهذه الدراسات متنوعة كدراسة هوينجمان على قبائل كاسكا ودراسة مارغريت ميد على مجتمع مانوس ودراسة رالف لينتون على سكان جزر الماركيز ودراسة ابرام كاردينر على قبيلة تتالا والماركيز، ودراسة روث بنديكت عن قبائل بيما ، وكل هذه الدراسات تناولت تأثير الثقافة في الشخصية والتي جمعها هؤلاء الباحثين الذين عايشوا هذه القبائل أو المجتمعات وجمعوا عنهم معلومات حول عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم واعتقاداتهم وطقوسهم وأساطيرهم ،وكل هذه المركبات أو المكونات تؤثر في شخصيتهم

وسنشير لبعضها باختصار:

1.دراسة هوينجمان على قبائل كاسكا:

درس هذا العالم قبائل الهنود المتواجدين في شمال كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية والمسماة قبائل كاسكا ودرس الناحية المتعلقة بالعوامل الثقافية السائدة ،وعملية التطبيع الثقافي التي يخضع لها الفرد في هذه القبائل والمركزة على الشخصية المتجهة نحو الاستقلالية(أي عدم الخضوع لأي سلطة سوى سلطة الأب) ،والمسؤولية(أي تحمل نتائج السلوك مهما كان كالنجاح أو الفشل) ،

وعدم العدوانية (أي اعتباره سلوك بغيض وغير مقبول) ،وبالتالي عدم تجاوز حدود النظام السائد كما يتميزون بالهدوء والنظام والتوازن والمرونة والتسامح ،

وكبح المشاعر والتحكم فيها ...الخ ،وكل هذا كما يبدوا مستمد من الخلفية الثقافية التي ينشأ عليها الأفراد المنتمين لهذه القبيلة.

2.دراسة مارغريت ميد عي مجتمع مانوس:

تمت هذه الدراسة في مجتمع بدائي يدعى قبيلة مانوس في جزيرة معزولة جغرافيا بشمال غينيا الجديدة والغير متأثر بظروف التكنولوجيا والحياة المدنية المعقّدة ،ويعيش هذا

المجتمع في أكواخ خشبية لها أعمدة مغروسة في الماء ومرتفعة على السطح في شكل متوارث عن الأسلاف منذ مئات السنين ،غير متأثرين بما يسود العالم ،كما أنهم لم يتعرّضوا لحملات التبشير أو وفود التجار.

وقد وجدت مارغريت ميد أنّ هذا المجتمع لا يتمتع بقيمة تقسيم العمل وليس له تسجيل لتاريخه الثقافي ويندر استخدام الحساب أو العدّ...كما بحثت العلاقة بين سلوك الأطفال وسلوك آبائهم ومدى تأثير الآباء في شخصية أبناءهم وطبيعة القيم التي يحملها الأبناء ،وعلاقة كل ذلك بعملية التنشئة الاجتماعية في هذا المجتمع ،وهذه الثقافة تتميّز بإعطاء الحرّية للطفل وتبني اتجاه الاستقلال في تنشئة الطفل ،وهناك تشابه بين شخصية الآباء والأبناء بسبب هذه التنشئة.

كما يتميزون بانتشار ثقافة تبني الأطفال خاصة لدى الشخصيات ذات المراكز الاجتماعية المرموقة في هذا المجتمع ،ويبقى التشابه كبيرا في شخصية الآباء (والتي تتميز بالنفوذ والسيطرة) والأطفال ،وهذا السلوك موجود حتى لدى أطفالهم سواء كانوا أبناء حقيقيين أو بالتبني ، وتشابههم ليس وراثي وإنما مستمد من العوامل الاجتماعية والثقافية السائدة.

كما درست مجتمع ساموا بالمحيط الهادي (1928)حول البلوغ والمراهقة ،واكتشفت أنه مجتمع مسالم والمراهق يعيش حرية جنسية بلا قيود مما ساعد على غياب الاضطرابات الجنسية التي يعانيها المراهق في المجتمعات الغربية ،وهذه المظاهر لا علاقة لها بالجوانب البيولوجية للفرد بل بالجوانب الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع.

3.دراسة رالف لينتون على سكان جزر الماركيز:

وقد درس رالف لينتون سكان جزر الماركيز في المحيط الهادي ،مركزا في دراسته للثقافة وشخصية الانسان على جانب القلق والاضطراب العصبي الذي يعانيه السكان في شخصيتهم ومدى ارتباطهم بالنظم القائمة مطبقا فرض فرويد

من أن هناك علاقة بين السلوك العدواني المضطرب والدافع الجنسي أو الاضطراب الجنسي وقد أثبت لينتون خطأ هذا الطرح لدى هؤلاء السكان بسبب أنهم لا يهتمون كثيرا بالمسائل الجنسية وعدم وجود كلمة عدوانية في لغتهم ،الاّ أنهم يعيشون قحطا وجفافا وفقرا وندرة كبيرة في الطعام أو مصدر عيشهم وبقائم مما يضطرهم ويدفعهم لأكل لحوم البشر ، لذلك يتميز

كل فرد منهم بالقلق والاضطراب ومن هنا فالجوع و نفاذ الطعام هو السبب الرئيسي لسلوكاتهم المرضية خاصة خوفهم من أن يكونوا طعاما للآخرين من بني جلدتهم ،ولاحظ كذلك أن هذا الاضطراب العصبي يؤثر عليهم وهو سمة رئيسية في شخصيتهم.

4.دراسة ابرام كاردينر على قبائل ألور في الهند الشرقية وتتالا والماركيز في المحيط الهادي استخدم هذا الباحث وحدة الشخصية الأساسية في تحليل تأثير الثقافة على مكونات الشخصية في هذه القبائل وهي التي تعرض لها لينتون سابقا ،وقد قام بتتبع طرق التدريب والتنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الفرد منذ طفولته المبكرة أو نعومة أظافره وعلاقتها بتأثير الأسرة بما أنها المؤثر الأول على الشخصية الأساسية للطفل.

وقد وجد كما يذكر الاستاذ عامر مصباح في كتابه أن الصور والادراكات الدينية التي يحملها الشخص هي مرتبطة بشكل وثيق بخبراته مع والديه في طفولته ، كما بين أن الصور المعرفية حول اعتقاد التماس العون الالاهي كالصبر والجلد في المحن و الشدائد أو استخدام اسلوب العقاب الذاتي حتى ينال رحمة الآلهة نتيجة ارتكاب المحرمات ...الخ ،هي متباينة في القبيلتين نتيجة للتباين في الخبرات الوالدية في مرحلة الطفولة ،وتقوم الشخصية الأساسية حسبه على ذلك التماثل والتطابق وعدم التباين في الشخصية داخل مجتمع معين وهي غير مرتبطة بالفروق البيئية واختلاف الخبرات الاجتماعية ،وانما ترتبط بالنظم الثقافية العامة السائدة في المجتمع .

بالإضافة إلى تأثير الشخصية الأساسية في الثقافة وقدم ذلك في مثال عن النظام العائلي في مجتمع ألور والذي يتميز بسيادة المرأة مقابل ضعف الرجل وتبعيته لها ،وقد ارجعها للعامل الثقافي الذي سماه بالنظم الأولية في تربية الطفل والمتميزة بالقسوة مع الطفل في التوجيه وحتى في حالات المرض مما يجعله خاضع دائما لغيره.

5.دراسة روث بنديكت على قبائل بيما وقبائل الهنود الامريكيون:

حاولت عبرها كذلك التعرف على علاقة الثقافة بالشخصية ،قامت بتحليل الانماط الثقافية السائدة في هذه القبائل وتأثير مختلف النظم الاجتماعية على تكوين شخصية أفراد بالإضافة المجتمع ،وورد ذلك في كتاب لها تحت عنوان الانواع السيكولوجية في ثقافات الجنوب الغربي الذي نشر العام 1928 ،وفي كتاب آخر تحت عنوان الأنماط الثقافية سنة 1934 عمقت الفكرة وركزت على سلوك الفرد كنتاج لثقافته ، إلى مجموعة من الدراسات الميدانية

على قبائل هنود الجنوب الغربي لأمريكا ودراسات اخرى في آسيا واوروبا حول نفس الموضوع.

وملخص ما توصلت اليه حول الانماط الثقافية الرئيسية اختيارها ثلاث منها مختلفة الطباع والشخصية موجودة في قبائل بيبلو ودوبو وكواكيوتل والتي اطلقت

اسمهم على دراستها وتوصلت الى أن:

أ/النمط الثقافي بيبلو: تسود هذه الثقافة المجتمعات الديونيزيانية في أمريكا الشمالية ويظهر أن ثقافتهم تتميز بصفات الوقار والاتزان والمحافظة على السلوك المعتدل والرزين ،وهذا النمط الثقافي يسود ثقافتهم ويسمها وتعمل القبيلة على توجيه الاخرى السلبية المناقضة للسمات الاخرى ،ولاحظت ذلك في استغراقهم الكلي في الحفلات الشعائرية والرقص وتأديتهم للعبادات والاعتقاد السحري ...وهنا تبين تخطيهم القيود القائمة وتجاوز العقبات في حياتهم والصبر على المتاعب والتكيف مع الآلام ...ويتجسد ذلك عبر محاولتهم الحصول على قوة خارقة للطبيعة عن طريق الأحلام ووسيلتهم في ذلك الخضوع إلى ممارسة أنواع قاسية من التعذيب والاستعانة ببعض المخدرات ...الخ ، حتى يستطيعوا الاستغراق في الخيال وتصور حدوث الأشياء الخارقة.

ب/النمط الثقافي لمجتمع الدوبو: في غينيا الجديدة والذين يتميزون بصفات الشك والريبة والميل للنزاع ،والشعور العدواني والفوضى ،وعدم خضوهم لسلطة

عليا ،وفقدانهم التنظيم السياسي والقانوني ،والاعتداء على بعضهم البعض كتدمير محاصيل بعضهم ،كذلك فقدانهم التنظيم الاجتماعي حيث أن أسرهم تتميز بقيام الزوج بدور الذليل والخاضع للزوجة ،اما نظامهم الاقتصادي فموروث عن العشيرة أو القبيلة ،تمجد فيه الملكية الخاصة ،ولديهم شك في المبادلات وسوء نية في المعاملات الاقتصادية والتجارية وحتى في علاقاتهم الاجتماعية العامة.

ج/ النمط الثقافي لمجتمع كواكيوتل: والتي تقطن الساحل الشمالي الغربي للولايات المتحدة الأمريكية وقد قامت بها على دراسة قام بها فرانس بواز وبينت بعدها أنهم يتميزون بصفات كالتطرف والميل نحو العزلة والانطواء ،وفي نفس الوقت الميل إلى التنافس ويمارسون الرقص كنشاط مهم لديهم ،والذي ترعاه الجمعيات الدينية وتعرف هذه الجمعيات بمسمى الكانيبال أو آكلي لحوم البشر كتعبير منهم عن السلوك العنيف في نظامهم الثقافي ،كما

تشمل الملكية عندهم المقتنيات المنقولة والموروثة والثروة والاشياء المادية والغير مادية ،وهذه الملكية هي المحدد للأدوار والمراكز الاجتماعية.

ويرون الموت كإهانة عظيمة حسب اعتقادهم أو معتقدهم سواء كان موتا عاديا أو مرضا أو قتلا ،وللتخلص من هذه الطريقة يستخدمون ما يسمى بطريقة صيد الرؤوس أي عندما يتوفى شخص يقتل آخر يساويه مكانة ومركزا اجتماعيا لنقل الحزن لأسرة أخرى وتقيم الأخيرة الحداد على الميت بدل الاسرة الأولى.

وعلى العموم اتفقت الدراسات في هذا المجال على أن الشخصية هي نتاج الثقافة السائدة في المجتمع ،والعلاقة بينهما قوية ،وهي علاقة تكاملية تنبني على التأثير والتأثر.

كما يمكن الاشارة لدراسات أخرى كثيرة أجريت على نفس الشاكلة كدراسة فلورا بالي لقبيلة النافاهو في الهند ودراسة برووير للعادات الحركية للعرب في الهلال الخصيب وتقارب ما قدمته مارغريت ميد سابقا ،وكذلك دراسة دولارد ودافيز لزنوج أمريكا ببحث السمات الغالبة في شخصيتهم ،ودراسة وينتر الخاصة بقبيلة إيما في إفريقيا ودراسة هول للمجتمع الأمريكي باحثا عن السمات الغالبة في الشخصية الأمريكية.

بالإضافة إلى دراسة مينر لبعض أفراد المجتمع الجزائري في الجنوب الصحراوي والمدن الشمالية وقد طبق اختبار رورشاخ وتوصل إلى نتائج تتعلق بالثقافة والشخصية في الجزائر ،وهناك دراسات أخرى قامت بتحليل مضمون الموروث الثقافي لبعض الشعوب لفهم العلاقة بين الثقافة والشخصية ومن بينها دراسة مارغريت لانتيس التي أجرتها على بعض قبائل الاسكيمو في جزيرة نونيفاك بالآلاسكا ،ودراسة بيرنا وآخرون لجماعة تشيبوا من الهنود الحمر بتفكيك أدبهم

الشعبي.

كما تزايدت الدراسات في هذا الاطار خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ،حيث تكونت لدى بعض الانثروبولوجيين قناعة قوية بأن فهم المحددات الثقافية الكامنة وراء الاختلاف في الشخصيات القومية له أهمية قصوى في فهم المجتمعات ،كما اعتقدوا بأن الفهم الواعي للسمات العامة المشتركة لدى أفراد المجتمع يمكن أن تساعد على تحليل التطورات الاجتماعية والسياسية التي تأجج مجراها داخل الأمم المتحاربة.

أن هذا النوع من الدراسات ساعد على فهم الثقافات بتنوعها وتفرعها وعلاقتها بشخصية أفراد المجتمع كحاملين ومنتجين لها سواء بسماتها السلبية أو الايجابية ،والملاحظ أن الرائد لهذا النوع من الدراسات هي الدول الساعية إلى السيطرة على الآخر الاضعف أوالتي كانت تمثل تهديدا لها كالدراسات الأمريكية على الشعب الياباني لفهم تركيبته الثقافية وعوامل تغيره وكذلك دراسة المجتمع الصيني والروسي والألماني بعد الحرب العالمية الثانية ودراسات أخرى عن المجتمع الأمريكي ذاته ذي الثقافات المختلفة ،ودراسات كثيرة عن العرب والتي ساهمت في فهمهم وتفكيك شخصيتهم وسماتهم الثقافية ،مما اسهم في القدرة على اخضاعهم ،وقد قاد هذا النوع من الأبحاث علماء كبار كروث بيندكت التي قادت فريقا علميا لدراسة مجموعة من الثقافات كثقافة الصين وبولندا وسوريا وروسيا وألمانيا وفرنسا ،ويهود أوربا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ...الخ.

وأبحاث مارغريت ميد وجورير وبازال ورودنيال ومينزو في بحوثهم عن الشخصية القومية والابحاث مستمرة إلى يومنا هذا ،ومن هذه الدراسات من خدم الأجندات الاستعمارية القديمة والنظام العالمي الجديد أو العولمة من أجل الهيمنة والسيطرة والتحكم في الآخر ومنها التي خدمت المجتمع ذاته من الداخل من أجل المحافظة

على ثقافته والتغيير البناء وفهم ما يدور فيه من ظواهر وفهم سمات أفراده وشخصيتهم كدراسة احمد بن النعمان للمجتمع الجزائري عبر أمثاله الشعبية كذلك الدراسة التي قدمناها نحن حول صورة المرأة في الادب الشعبي الجزائري.

2/الفولكلور

يعد الفولكلور حقل خصيب للدراسات الانثروبولوجية، وهو دعامة تصون كيان وهوية أي مجتمع لذلك يتم حمايته بالحفظ والجمع والتدوين والتداول ،وكثيرا ما نصادف هذا المفهوم الذي يدخل في اطار تناول الثقافات الكبيرة أو الصغيرة وهذا اللفظ يعد صفة أو تصنيف لتراث هذه الجماعات الذي يسمه الطابع الروحي والتلقائي والغيبي،إنه نظرة الشعب إلى الحياة وحصيلة تجاربهم المختلفة.

كما نجد من يصنف ثقافة الجماعات الانسانية في خانة الادب الشعبي أو أن الفولكلور قرين الأدب الشعبي الذي هو أدب لهجات غير مكتوبة ومقياس الكتابة ساهم في تحديد الشعوب بين البدائية الشفهية

والمتحضرة المكتوبة وبالتالي خلصت بعض الاعمال الانثروبولوجية الى بيان ما يتميز بع الفلكلور كشكل غير رسمي من الثقافة عبر ما سنشير اليه في الآتي:

- أن صفة الشفهية ملازمة أو لصيقة بالفلكلور.
- أن نصوص الفولكلور غير رسمية أي مجهولة النسب ،لا تحمل اسم مؤلف معين كبعض كتب السير والملاحم وغيره ،فهناك ما تم تدوينه وحفظه من الضياع والاندثار
- ينتقل عبر التواتر والترديد ومن هنا لا يمكن التنصل منه وانكاره
- انه ثقافة غير عالمة أو غير رسمية كالأدب الفصيح من شعر ورواية...وبالتالي هو أدنى من الادب الرسمي
- يعيش على الهامش ويعتبر في الغالب تافها ،مثار عجب وغريب لذلك يقصى من الدراسات وينظر الى المهتمين به كفئة ناقصة ثقافيا كحاله في الدراسات الجزائرية.
- مرتبط بكل ما هو شعبي تمارسه فئات عريضة من المجتمع مهما كان مستواهم وتوجههم
- يمس تقريبا كل ما هو روحي لدى الشعب كالأمثال الشعبية ،وتحضر فيه كل لغات التواصل والترميز اللسانية والغير لسانية والجسدية والاشارات والسيميولوجيا

وعموما اذا حاولنا تفكيك هذا المفهوم سنجده مكون من كلمتين انجليزيتين الأولى Folk وتعني شعب ،والثانية lore وتعني علم أي علم الشعب وهو ذلك العلم الذي يهتم بالتقاليد والعادات والاساطير والأغاني والرقصات والمعتقدات ...وغيره ،وحسب وليام جونز تومز W.J.Thomas هو آداب السلوك والعادات والخرافات والقصص الشعبي والنكات والامثال والألغاز والتعاويذ والتبريكات والشتائم والرقص الشعبي والمسرح الشعبي والطب الشعبي والموسيقى والاشعار والالقاب والملاحم وما يكتب على القبور والسيارات واليافطات والجدران وأغاني ألعاب الأطفال والإيماءات والرموز والدعاء ،وأنماط البيوت والتطريز وما يقال لطرد الحيوان والطقوس والاحتفالات الشعبية في المواسم ...الخ. وكلها يشكل التراث الشعبي في منطقة محددة كالتراث الشعبي الجزائري.

ان الدراسات الانثروبولوجية المهتمة بالفولكلور ركزت على المجتمعات البدائية والمتخلفة من المجتمعات الحالية مستثنية في بحوثها ثقافة الطبقات العليا أو العالمة وكأن الفولكلور يعد الجانب الوضيع من المجتمع ،وهذا طمس للذهنية والعقلية الشعبية وأصالتها وخصوصيتها ،ومن

هنا فان الاهتمام بالفولكلور في الانثروبولوجيا خاصة في اطار المجتمع الذي ينتمي اليه الباحث في الحقيقة هو احياء له وحماية له من الضياع والاندثار.

3/موضوع الجسد:

حاز جسد الانسان على اهتمام منقطع النظير في الكثير من العلوم بمقاربات وتأويلات مختلفة اختلاف العلوم والمعارف المهتمة به ،فلكل حقل نظرة معينة للجسد الذي له حضور عميق وزوايا معرفية مختلفة كحضوره لغويا كجزء مادي للكائنات الحية Corpus،الجسم البشري يقابله الجزء المتعلق بالعقل والروحEsprit والمحمل بالعواطف والاحاسيس وفي لسان العرب لا يقال جسد الا على الجسد البشري ،بينما فيزيولوجيا الجسد فتعين خارطة أو حدود بيولوجيا الجسد كمعطى حي أي مجموع اعضاء تربطها وظائف محددة تشتغل داخل جهاز واحد أو أكثر لبقائه ونموه واشباع حاجاته من تنفس وغذاء وتناسل وافراز ،وهو الوسيط بين البيئة وعمق الجسم وطبيعيا يتشكل الجسد من نوعين ذكر وانثى وهو ألوان متنوعة وأشكال و أعراق مختلفة ،وهذا منظار الانثروبولوجيا الفيزيقية التي قدمت كما من الدراسات تصنف البشر حسب اجسادهم والوانهم الى ابيض واسود واصفر ...الخ. وطبيا يتعرض الجسد للمرض والأوبئة ويحتاج لعلاج بالجراحة والتقويم وتجميل المشوه منه أو تعديله والتشريح ،والانتاج من خلال اطفال الانابيب والاستنساخ ...الخ.

وكدال ثقافي قدم من خلال طرق التعامل معه في الثقافات المختلفة عبر طرق ترويضه وتربيته والمحرمات والموانع التي تقع عليه ومراقبته وايذائه ويكشف ذلك مثلا في كتاب ميشيل فوكو (المراقبة والعقاب) ،حيث درس مختلف الضوابط التي حكمت الجسد عبر التاريخ بالتدريج من القرن 16ميلادي إلى غاية القرن 17ميلادي بترويضه ليصبح طيعا ومقولبا حسب املاءات الثقافة عن طريق التربية والتقليد أو التكيف في الوسط الاجتماعي ،بناءا على الفروقات النوعية والعمرية والمعيشية والبيئية والجغرافية والمناخية.

ان وجود الانسان هو وجود جسدي، كما يؤكد دافيد لوبروتون والنظرة الى الجسد الانساني هو نظرة ثقافة المجتمع ويؤكد لوبوتون أن هذا الجسد ما هو إلا مرآة عاكسة للمجتمع الذي يحيا فيه هذا الجسد ،حيث يعتبر حياة الانسان وما يملكه من جسد ،ماهي الا اختزال دائم ومستمر للعالم من حوله في جسده بمرور الزمن الذي يجسده.

اختزال لكل ما ينتمي اليه في اطار ثقافته حسب ميشيل فوكو Michel Foucaultمؤسس سوسيولوجيا الجسد ومارسيل موس Marcel Mauss وروبرت هيرتز Robert Hertz وماري دوجلاس ،ومن هنا نمى ما يعرف بالاتجاه الانثروبولوجي لدراسة الجسد أو الاتجاه الرمزي للجسد كاتجاه حديث جدا.

لقد كان الجسد ولا زال من الموضوعات الهامة في الانثروبولوجيا الثقافية إضافة الى ما يرافق الجسد من ممارسات ومنها المظاهر المتعلقة باللباس والعري ومظاهر التزيين والحلي والماكياج والتطرية والتدليك ،ومظاهر تتعلق بالوشم والقناع والموضة وتسريحات الشعر ومظاهر تغير الجسد من خلال العجز والشيخوخة وممارسة الرياضة والريجيم والسلوك الجنسي والبدانة ...الخ.

كما لا يفوتنا أن نشير الى ان موضوعات الدراسة في الانثروبولوجيا في تزايد مستمر نتيجة تعقد حياة الانسان اليوم عما كانت عليه سابقا ،حيث لا تفاجئنا بعض المواضيع النابعة من بيئتها كموضوع العنف بأشكاله وموضوع الشذوذ والهوية الثقافية وغيره من المواضيع.